

Looks at (Al-Wajeez in the Interpretation of the Noble Qur'an)

Dr. Shawky Deif

Khalid Ahmed Mohammed

Department of Arabic language, College of Education, Salahaddin University-Erbil, Erbil

DOI: <https://doi.org/10.31918/twejer.2574.13>

Published: 15/1/2025

Abstract

The research aims to introduce Dr. Shawqi's efforts in the field of interpretation, and what he notes in it. The research included an introduction to the author's life and interpretation, a first chapter on the basic principles of his interpretation and his interests, and a second chapter on the most prominent strange interpretations contained in it. The research produced results, the most prominent of which is: that this interpretation is valuable. Focuses on tasks in a clear manner and follows a sound approach. Only a few issues emerged from this in which he was influenced by some rational schools.

Keyword: interpretation, looks, ShawqiDhaif, looks, the Holy Quran ,methodology

نظرات في (الوجيز في تفسير القرآن الكريم)

للدكتور شوقي ضيف

الدكتور: خالد أحمد محمد

قسم اللغة العربية/كلية التربية-جامعة صلاح الدين-أربيل

Xalid.Mohammed@su.edu.krd

الملخص

يهدف هذا البحث الموسوم بـ (نظرات في الوجيز في تفسير القرآن الكريم) للدكتور شوقي ضيف إلى التعريف بجهود هذا العالم الأديب الشهير وإسهاماته في مضمار التفسير، وما يلاحظ عليه فيه، ويتكون البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، تضمن التمهيد نبذة عن حياة المؤلف ومسيرته العلمية ولا سيما جهوده في التفسير ومعالجه عنده، أما المبحث الأول فقد أفرده للمبادئ الأساسية لتفسيره، وجوانب من اهتماماته واختياراته، وخصصنا المبحث الثاني لبيان أبرز ما جاء في تفسيره من آراء جميلة، أو تفاسير غريبة هي محل نظر، وتمخض البحث عن نتائج، من أبرزها أن د. شوقي ضيف (رحمه الله) له باع طويل في مجال التفسير، قد لا يقلّ عن تبحره في العلوم اللغوية والأدبية التي اشتهر بها، وأن تفسيره قيم، يركز فيه على المهمات، كما أن له فيه وقفات وبصائر جادت به قريحته، وقد تميز بأسلوب سلس واضح، كما سار على وفق منهج سليم، لم يشذ عن ذلك إلا مسائل معدودة، تأثر فيها ببعض النزعات والمدارس العقلية في التفسير.

الكلمات المفتاحية: (نظرات ، التفسير، القرآن الكريم، منهج، شوقي ضيف).

المقدمة

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد...

فإن القرآن الكريم جعله الله تعالى كريماً مباركاً عزيزاً، يتشرف ويعلو شأن كل من أسدى إليه خدمة أيما خدمة، سواء بحفظه أو دراسة لغته أو تفسيره، بيد أن أفضل تكريم للمرء هو أن يفهمه حق الفهم ومن ثم يعمل به ويدعو إليه.

ومن أئمة الأدب واللغة والنقد والبلاغة المشهورين في العصر الحديث، الدكتور شوقي ضيف، الذي عرف بريادته ورسوخ قدمه في كتابة تاريخ الأدب، وفي تقريب اللغة العربية إلى أبناء الأمة وتسهيلها وتيسيرها، ومشاركته الفعالة في الجامع اللغوية.

إلا أن هناك جانباً آخر من اهتماماته لم يحظ بالشهرة وذويع الصيت، وهو عنايته بلغة القرآن وتفسيره وبلاغته، فهذا الجانب أيضاً قد كان له فيه إسهامات وبصمات ووقفات هي جديرة بوقفات عندها، وإجالة النظر فيها.

ومن الجدير بالتنويه أن أكثر الذين تربوا ونشأوا وبرزوا في أوائل القرن الماضي كان لهم مواقف وآراء حول تاريخ الأمة وتراثها ومصادر دينها وثقافتها ولا سيما القرآن الكريم والسنة النبوية، وتباينت مواقفهم إيجاباً وسلباً.

ومن قبيل المعجبين بكلام الله تعالى الذي يرى أنه المعجزة التي ليست لها سابقة مشابهة، ولا لاحقة ماثلة في تاريخ الحياة الإنسانية -مع تحفظه على بعض التفسيرات- الدكتور شوقي ضيف، فقد أقدم على تفسير القرآن الكريم في منتصف القرن المنصرم، بدأه بـ(سورة الرحمن وسور قصار)، ثم توسعت عنده الفكرة، وتابع الكتابة في هذا المجال إلى أن وفق لأن يكتب تفسيراً موجزاً لكتاب الله تعالى في أواخر القرن الماضي يقع في مجلد واحد يربو على ألف صفحة، واضعاً نصب عينيه أن يكون تفسير الآيات بلغة واضحة سهلة، وأن يكون وجيزاً -بقدر الحاجة- يهدف إلى بيان معاني الآيات في إجمال غير مغل.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه يعرّف بالجهود التي بذلها الدكتور شوقي في تفسيره هذا من ناحية، وما يمكن أن يلاحظ فيه من ناحية أخرى، حيث كان للمؤلف في تفسيره بين فينة وأخرى لفتات ولمسات، وهذه يمكن تقسيمها على قسمين، قسم لا يتعارض ولا ينافي ما قال به علماء الأمة، بل كان في غاية الجمال والدقة نابعاً من روح التفسير، ومقاصد الآيات النبيلة، بل يمكن أن يعد تفسيراً آخر من تفسيرات القرآن العظيم التي لا تنتهي، فهذا النوع ينبغي أخذه كما يمكن أن يضاف إلى المكتبة التفسيرية العامة بمئات بل بالآلاف التفاسير المتعددة المتنوعة ومن اللمسات التي فتح الله بها عليه.

وقسم آخر ينبغي التوقف عنده، ويجدر بالقارئ أن يعيد النظر فيه الكرة بعد الكرة. بعضها جادت به قريحته، كما أنه في بعضها الآخر كان متأثراً بالزعة العقلية التي تبنتها المعتزلة في العصور السابقة -وان لم يصرح بها- فقد كان ينقل عن الزمخشري (ت/٥٣٨هـ) أحياناً كثيرة في المباحث اللغوية والبيانية، كما كان متأثراً به وناقلاً منه في بعض المسائل الأخرى، وقد قال أيضاً ببعض آراء مدرسة محمد عبده (ت/١٣١٤هـ) (في العصر الحديث) في بعض تفسيراته -إلا أنه مقل منها لا يبلغ ما صرح به عدد أصابع اليد الواحدة-، تلك المدرسة التي حاولت أن تراجع التراث الموروث والثقافة التي خلفتها لنا الأجيال السابقة، ومن ثم فخصها والنظر إليها بعين باصرة ناقدة، وتميز ما هو من الوحي المقطوع به، إلا أن هذه المدرسة ربما غالت في الركون إلى العقل أكثر من حدوده، وتكلمت في بعض القضايا الغيبية التي لا مجال للعقل فيها، كما أولت بعض النصوص وخرجت منها بمفاهيم خالفت ما تعارف واتفق عليه سلف الأمة وخلفها.

أسباب اختيار البحث:

-إبراز العلاقة بين اللغة والتفسير، وذلك أن اللغويين كانوا ولا يزالون هم الرواد في مجال التفسير، وذلك لمعرفة الدقيقة بمكان اللغة وعنايتهم بأسرارها وتوظيفها في مجال تفسير كتاب الله تعالى.

-إبراز المعالم الأساسية لتفسير د. شوقي، وبيان نماذج من اختياراته واهتماماته في تفسيره.

-الوقوف على المواطن التي هي محل نظر، مما وقع في تفسيره من آراء غريبة، وأقوال غير مألوفة.

حدود البحث:

تناول هذا البحث ودرس جلّ المسائل التفسيرية التي هي موضع اهتمام أهل هذا الفن، مكثفياً في المسائل المعروفة التي لا إشكال فيها بالعرض الوجيز والسرد السريع، بينما وقف عند المسائل التي هي من اجتهادات المؤلف واختياراته، وكذلك القضايا التي محل إشكال بتفصيل يوضح المقصود.

مشكلة البحث:

-عدم اشتبار الدكتور شوقي باهتمامه وعنايته الفائقة بتفسير القرآن الكريم، مع أن إلمامه وصرف عنايته لهذا الجانب كان من أولوياته منذ زمن مبكر من حياته العلمية، دراسة وتأليفاً وإلى ما قبيل وفاته. وله في تفسيره مواقف واختيارات واجتهادات هي جديرة بالأخذ والقبول.

-وجود بعض آراء هي محل نظر وتوقف، مما ينبغي التنبيه عليها، إلا أن تلك الآراء هي قليلة جداً كما تبين لنا بتتبع دقيق لتفسيره.

هدف البحث:

-سعى البحث لإبراز القيمة العلمية لهذا التفسير القيم، وذلك بعرض نماذج في شتى مجالات التفسير فيما يتعلق بالتفسير بالمأثور وبالرأي، والمسائل اللغوية والعقدية، وغيرها، كما سلط الضوء على ما جادت به قريحة المؤلف من آراء وتفسيرات قد تبدو جديدة لم يسبق إليها.

-الوقوف على حقيقة ما وقع في تفسيره من آراء غريبة وأقوال تخالف ما تعارف عليه الجمهور، وبيان جذور ذلك، وإنصاف المؤلف بين ما له وما عليه، وعدم اتخاذ بعض المؤاخذات ذريعة لطرح تفسيره، إذ إن تلك المؤاخذات -كما يتبين في البحث- تتلشى في ظل تفسيراته العلمية وجهوده الطيبة التي بذلها في خدمة كتاب الله العزيز.

منهج البحث:

اتبعت في كتابة البحث المنهج الوصفي التحليلي، إذ قمت بعرض النماذج التي لا بد منها لتوضيح معالم منهجه، كما بينت ما احتاج منها إلى توضيح، وحاولت قدر الإمكان مراجعة المصادر التي صرح بها والتي استقتى منها معلوماته، وقارنته بأقوال غيره من العلماء وقفت عنده بالتحليل والتعقيب..

إذ كان لي وقفات توضيحية لما رسمه الدكتور شوقي، ونظرات تمحيصية فيما سطره، مبيناً الخطوط العامة في بيان منهجه في تناول المسائل، وما يمكن أن يستدرك عليه، في تفسيره الوجيز الذي وقفت عليه واقتنيتُه منذ أكثر من عقد، وظلت أقلب صفحاته بشغف، مستفيداً فاحصاً -منذ سنين- قصدت في دراستي هذه التجول والتعرف على مسائله العامة، مقتصداً في عرضها -بغية الاختصار-، إلا إذا اقتضى المقام تفصيل المقال فبسطت فيه الكلام، ليتضح المراد، ويتجلى المقصود.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى تمهيد، ومبحثين وخاتمة، يتضمن التمهيد ترجمة موجزة للدكتور شوقي ضيف، وتعريفاً عاماً بتفسيره. أما المبحث الأول، فقد خصصناه لبيان المباحث العامة في تفسيره، مما لا يستغنى عنها في بيان المعالم الأساسية لتفسيره، إذ لا يمكن الحكم على القسم الثاني إلا على ضوءها، واكتفينا في أكثرها بالعرض، نظراً لوضوحها وكثرتها. أما المبحث الثاني، فقد سلطنا فيه الضوء على أبرز المسائل التي كانت محل نظر في تفسيره، والذي قسمناه على قسمين، قسم كان في غاية الجمال والروعة، وقسم كان مدعاة للتوقف عنده، ومقارنته بأقوال العلماء، وبيان منزلته. وتضمنت الخاتمة أبرز النتائج التي توصل إليها.

تمهيد

في ترجمة الدكتور شوقي وتعريف عام بتفسيره

أولاً: نبذة مختصرة في ترجمة د. شوقي (١٩١٠ - ٢٠٠٥ م)

هو الدكتور أحمد شوقي عبد السلام ضيف، المشهور باسم: شوقي ضيف، ولد سنة (١٩١٠م) في قرية أولاد حمام، محافظة دمياط، شمال مصر. حفظ القرآن وهو ابن العاشرة، ثم دخل المعهد الديني سنة (١٩٢٠)، فالتحق بمعهد الزقازيق الثانوي التابع للأزهر، وبعدها تخرج منه ليتم دراسته بتجهيزية دار العلوم، ثم التحق بقسم اللغة العربية كلية الآداب، ثم تخرج فيها بعد أربع سنوات. واشتغل محرراً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ثم معيداً بقسم اللغة العربية بكلية الآداب، وبعدها حصل على درجة الماجستير في تخصص النقد الأدبي. ويعد شوقي ضيف من أشهر طلبة الدكتور طه حسين وأبرزهم، الذي كان مشرفاً على رسالته للحصول على درجة الدكتوراه. كان رحمه الله تعالى متواضعاً ذا صدر رحب، ويد طاهرة، ولسان عفيف، كما كان عالماً متبحراً في علوم شتى، إذ كان مؤرخاً ومحققاً ومفسراً وناقداً ولغوياً بارعاً، تشهد بذلك آثارها التي خلفها، والتي تربو على (٥٠) كتاباً، من بينها: (تاريخ الأدب العربي) وهي موسوعة في عشر مجلدات، جعلها الدكتور مشروع حياته، و(تجديد النحو)، و(تيسيرات لغوية)، و(المدارس النحوية)، و(الفصحى المعاصرة)، و(الفن ومذاهبه في الشعر العربي)، و(الشعر وطوايعه الشعبية على مر العصور)، و(الحب العذري عند العرب)، و(في التراث والشعر والنثر واللغة)، و(في الشعر والفكاهة في مصر)، و(النقد)، و(الأدب العربي المعاصر في مصر)، و(البحث الأدبي)، و(البلاغة تطور وتاريخ). وتفسيره القيم الموسوم بـ (الوجيز في تفسير القرآن الكريم). وغيرها من الكتب الأخرى، ناهيك عن التحقيقات التي قام بها لعشرات الكتب اللغوية والأدبية والتاريخية، وغيرها أمثال: (كتاب السبعة - في القراءات لابن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٤هـ)، و(الرد على النحاة، لابن مضاء القرطبي المتوفى سنة ٥٩٢هـ)، و(المغرب في حلى المغرب لابن سعيد الأندلسي المتوفى سنة ٦٨٥هـ)، وترجم بعض مؤلفاته إلى عدد من اللغات، وصدر عنه عديد من المؤلفات. حصل الدكتور شوقي على جائزة مجمع اللغة العربية ١٩٤٧، وجائزة الدولة التشجيعية في الآداب سنة ١٩٥٥، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب سنة ١٩٧٩، كما حصل على جائزة الملك فيصل العالمية ١٩٨٣، وجائزة رئيس جمهورية مصر العربية للآداب ٢٠٠٣م.

توفي الدكتور شوقي ضيف (رحمه الله تعالى) سنة ٢٠٠٥ م، عن عمر يناهز ٩٥ عاماً من العطاء ونشر العلم ومطالعة الكتب والمراجع. (ينظر: شوقي ضيف، مقالات منشورة على موقع معرفة، وموقع المكتبة الشاملة الحديثة، وعلى موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الانترنت- وغيرها- تاريخ الزيارة: ٢٠٢٣/٦/١ م وبعدها).

ثانياً: تعريف عام بتفسيره:

أ- اسم تفسيره، والباحث على تأليفه، وتاريخه:

أقدم الدكتور شوقي ضيف (رحمه الله) على تفسير القرآن الكريم، مبتدئاً بالسور القصار، في منتصف القرن العشرين المنصرم، ثم توسعت عنده الفكرة، وتابع الكتابة في هذا المجال إلى أن وُفق لأن يكتب تفسيراً كاملاً لكتاب الله تعالى، سماه (الوجيز في تفسير القرآن الكريم)، وذلك في (غرة رجب ١٤١٥)، وهو يقع في مجلد واحد كبير يربو على ألف صفحة، قامت دار المعارف-بالقاهرة بطبعها بعيد تأليفه. (النسخة التي بحوزتي من الوجيز في تفسير القرآن الكريم للدكتور شوقي ضيف، من منشورات دار المعارف، وكتبت عليها الطبعة الثانية، وقد دُون على الغلاف الداخلي لهذه النسخة أنه طبع بإذن الأزهر الشريف الصادر في ١٤١٥/٣/١٨ هـ- ١٩٩٤/٧/٢٧ م، وفي الصفحة الأخيرة يوجد رقم الإيداع لهذه الطبعة وتاريخها، وهو: (٢٠٠٠)، ولم أقف على تاريخ الطبعة الأولى-مع البحث الحثيث عنه- إلا أن المؤلف سَجَّل في خاتمة المقدمة قُبيل اسمه- التاريخ (غرة رجب ١٤١٥)، وهو يوافق أواخر عام (١٩٩٤ م)، والظاهر أنه كتب المقدمة بعد أخذ الإذن بالطبع، وأنه طبع إثر ذلك بفترة وجيزة، وأن الطبعة الثانية كانت بعد نفاذ الأولى أيضاً، يؤكد ذلك أن الطبعة الموجودة على الانترنت أرخ لها بسنة (١٩٩٦ م)، ويبدو أن هذا هو تاريخ الطبعة الأولى- والله أعلم-، أما الطبعة الثانية فكانت في عام (٢٠٠٠ م).

وخير من يُعرفنا بآثار هذا التفسير ويوقفنا على الباحث على تأليفه هو المؤلف نفسه، إذ يقول في مقدمته: "...وبعد، فنذ أكثر من أربعين عاماً كنت أدرس تفسير القرآن الكريم لطلاب قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وعينت أعواماً متصلة بعرض كتبه واتجاهاته المختلفة على مَرِّ التاريخ، وتمنيت لو استطعت أن أقدم فيه عملاً ابتغاء وجه ربي، ونشرتُ كتاباً بعنوان (سورة الرحمن وسور قصار: عرض ودراسة) طبع مراراً، وحقت كتاب القراء السبعة لابن مجاهد الذي فرضهم على العالم الإسلامي منذ زمنه واستجابت له الأمة إلى اليوم، ولم يكن منشوراً، وظللت طويلاً أدعو الله أن يتم نعمته عليّ بكتابة تفسير موجز لكتابه المجيد، المعجزة التي ليست لها سابقة متشابهة ولا لاحقة مماثلة في تاريخ الحياة الإنسانية، نور على نور ...". (ضيف، ٢٠٠٠ م، ص ١).

ب- منهجه العام في تفسيره، ومصادره فيه:

ثم يتابع الدكتور شوقي الكلام حول ذلك، بقوله: "وغمرني الله بفضل، فوثقني إلى النهوض بذلك الشرف، وتوكلت عليه واضعاً نصب عيني أن يكون تفسير الآيات الكريمة بلغة واضحة سهلة، وأن يكون وجيزاً بقدر الحاجة إلى بيان معاني الآيات في إجمال، وأكبت على كتب التفسير أستضيء بها، وبخاصة تفاسير الطبري والزمخشري والفخر الرازي والقرطبي والبيضاوي وابن كثير، وإسماعيل حقي، والشيخ محمد عبده، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وأخذت أقتطف منها هذا التفسير المختصر، وقصدت للإيجاز لم أنص إلا قليلاً على آراء المفسرين، وبالمثل لم أنص على الآراء النحوية والبلاغية في الصيغ القرآنية، ولا على أسباب النزول في الآيات، ولا على القراءات في ألفاظ القرآن، لأن لكل ذلك كتباً مطولة منشورة، ولم أحم عليه شيئاً من الإسرائيليات في قصص الأنبياء، إذ ينبغي تنحيها عن تفسير الذكر الحكيم، وأيضاً نحيت عنه تفاسير غلاة التشيع والتصوف لتوسعها في تأويل الآيات، وذكرت في أول التفسير لكل سورة أهم موضوعاتها، وقلما ضبطت في التفسير ألفاظ الآيات اكتفاء بضبطها الدقيق في الآيات المرافقة" (ضيف، ٢٠٠٠ م، ص ١).

وفي الحقيقة أني قرأت معظم هذا التفسير وتتبعه أكثر من مرة-، والذي لاحظته أنه وفي بما ذكره في المقدمة فلم يتطرق إلى التفاصيل والدقائق المتعلقة باللغة والبلاغة والفقه والعقائد والقراءات ومباحث علوم القرآن إلا قليلاً، كما أنه حاول أن يتنحى عن ذكر الإسرائيليات في تفسيره، إلا أنه لم يخل منها، كما لم يسلم من إيراد بعض الأحاديث التي هي محل نظر عند العلماء، وكان له مواقف معينة إزاء بعض القضايا والمباحث ولا سيما ما يتعلق بالعقيدة كما سنبينه فيما بعد إن شاء الله.

وهذه المسائل التي أشرنا إليها هي مباحث عامة يسير عليها جُلّ المفسرين ويعتمدون عليها، والتفسير -التي تتبع هذا المنهج ولا يكون جانب منها غالباً على بقية الجوانب- يمكن تسميتها بالتفسير العامة، وهو ما نريد أن نشير إليها إشارة سريعة في بحثنا ونجعلها المبحث الأول من هذه الدراسة. إلا أنه لم يقف عند هذا الحد، بل أراد أن يدلي بدلو، وأن يبدي رأيه وأن يقول كلمته في تفسير بعض الآيات، ولذا يتابع كلامه في المقدمة قائلاً: "ومضيت ألتقط من كتب التفسير السابقة وغيرها دررها الكثيرة، محاولاً أن أعرضها على القارئ في يسر، وليس لي إلا بعض لفتات قليلة في الحين البعيد بعد الحين" (ضيف، ٢٠٠٠م، ص ١).

ثم أخذ يسرد في المقدمة بعض النماذج لتلك اللفتات التي جادت بها قريحته، إلى أن ختمها بعبارات الابتهاال إلى الله والدعاء بالقبول والانتفاع والاعتراف بتواضع مكانة تفسيره، مع الإشارة إلى تاريخ تأليفه، إذ يقول: "وبلغني القارئ لبقية التفسير في الكتاب من وقت لآخر بلفات ماثلة، وأعترف بأن هذا التفسير الوجيز للقرآن الكريم إنما هو مقدار ما حملته بيدي القاصرتين من تفاسيره القيمة، وأسأل الله أن يتقبله زلفى إليه، وأن ينفع به المسلمين، ويجعله ذخراً لي يوم الدين، بسايف طوله، وواسع فضله، إنه سميع الدعاء رب العالمين. غرة رجب سنة ١٤١٥هـ شوقي ضيف" (ضيف، ٢٠٠٠م، ص ٣). وفيما يخص مصادره، فقد توه الدكتور بأبرزها، إلا أن من بين أكثرها وروداً، تفسير الكشاف للزمخشري (ت/٥٣٨هـ)، فقلما تقلب صفحة إلا وتقع عينك على اسم الكشاف أو اسم مؤلفه، سواء في المسائل اللغوية والبيانية أو غيرها.

كما أنه اقتصر في المقدمة على الإشارة إلى أشهر مصادره في التفسير، مع أنه قد راجع واعتمد على مصادر أخرى، ك (الإنقان) للسيوطي (٩١١هـ)، وكتب السنة ولا سيما الصحيحين في مواضع كثيرة، كما أورد في مواطن قليلة بعض الروايات التي وردت في الأنجيل، كذلك أشار إلى كتب لغوية منها (لسان العرب) لابن منظور (٧١١). (ينظر -مثلاً: ضيف، ٢٠٠٠م، ص ٦٢١، و٤٦٩).

المبحث الأول:

المبادئ الأساسية التي اعتمدها الدكتور شوقي في تفسيره، ونماذج من اختياراته واهتماماته:

المطلب الأول

المبادئ الأساسية التي اعتمدها الدكتور شوقي في تفسيره

اعتمد الدكتور شوقي في تأليف تفسيره -كسلفه من المفسرين- على مجموعة من المبادئ التي تعد الركائز الأساسية في كل تفسير، وإن كان لكل مفسر أسلوبه ومنهجه الخاص في كيفية تناول هذه المسائل وتوجيهها، نكتفي بالإشارة إلى أبرزها على النحو الآتي:

١- يستهل الدكتور الشوقي كل سورة بذكر اسمها أو أسماها لمن تعددت-، مع الإشارة إلى أهم معالمها ومقاصدها ومحاورها، وكونها مكية أو مدنية وما فيها من آيات مستثنيات، وربما تعرض لما توحى إليه السورة من معان دقيقة، وإشارة لطيفة.

من ذلك ما ساقه من سبب تسمية سورة الفاتحة بهذا الاسم، بقوله: "سورة الفاتحة: سميت هذه السورة: الفاتحة، وفاتحة الكتاب، وأم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني، أما تسميتها الفاتحة وفاتحة الكتاب أي القرآن، فلأنه تفتتح بها كتابة المصاحف وقراءة القرآن وسوره والقراءة في الصلاة، وأما تسميتها أم القرآن وأم الكتاب فلأنها تشتمل على أهم مقاصده، كما سنرى، وأما تسميتها بالسبع المثاني فلأنها سبع آيات تكرر في كل صلاة، والفاتحة مناجاة الله العلي القدير، ونصفها ثناء للعبد على ربه، ونصفها الآخر عطاء الرب لعبده، وتتضمن الركن الأول من الخاص بالعقيدة وهي الإيمان بالله ووحدانيته وصفاته والبعث والمعاد، والركن الثاني الخاص بعبادته والاستعانة به والهداية إلى جميع الأعمال الصالحة. والسورة مكية". (ضيف، ٢٠٠٠م، ص ٥).

وفي الحروف المقطعة التي ابتدئت بها (٢٩) سورة، أشار إلى بعض ما قيل في المقصود بها، إلا أنه اختار الرأي القائل بتوكيل العلم بها إلى الله تعالى، من ذلك ما ذكره في مفتتح سورة البقرة، بقوله: "[الم] اختلف المفسرون في دلالة الحروف المقطعة بأوائل بعض السور، واتفقوا على أنها تنطق بأسائها، وقيل: هي أساء للسور التي جاءت فيها، وقيل: إنها إشارة إلى أن القرآن الكريم مركب من هذه الحروف وما يماثلها ومع ذلك عجز الخلق عن معارضته، وأولى الآراء أنها مما اختص الله بعلمه". (ضيف، ٢٠٠٠م، ص ٧).

ويؤكد ذلك في مستهل سورة يونس، فبعد أن ذكر بعض ما قيل فيها قال: "وخير الآراء أن الله اختص بمعرفة كُنهها، إذ جميع الآراء مبنية على الظن دون يقين راجح". (ضيف، ٢٠٠٠م، ص ٣٤٣).

ولا شك أن كل ما قيل بهذا الصدد، ليس هو المعنى المطابق لهذه الحروف المقطعة، إذ إن هذه الحروف لم ترد كذلك في كلام العرب حتى تكون لها معان معروفة، وكل ما قيل بهذا الصدد لا يخرج عن المقاصد التي سبقت لها تلك الحروف، وأبرز ما فيها أنها لبيان كون القرآن الكريم معجزة خالدة من عند الله تعالى، إذ إن الإنس والجن يرمتهم عاجزون عن الاتيان بمثله، مع أن حروفه هي نفس الحروف التي ينظمون بها كلامهم، وأن الله ذكر لنا من أنواع الحروف العربية وصفاتها نصفها، واللافت للنظر أنه ورد بعد هذه الحروف في (٢٧) سورة من القرآن الكريم من مجموع (٢٩) سورة ذكر الإشادة بالقرآن الكريم وبأوصافه، وأنه من عند الله تعالى.

٢- فيما يخص عناية الدكتور شوقي بالمأثور (من التفسير) هو الذي يعتمد على صحيح المنقول، من تفسير القرآن بالقرآن، أو بالسنة، لأنها جاءت مبنية لكتاب الله، أو بما روي عن الصحابة، لأنهم أعلم الناس بكتاب الله، أو بما قاله كبار التابعين، لأنهم تلقوا ذلك غالباً عن الصحابة. ينظر: القطان، د. ت، ص ٣٤٧- فقد لوحظ أنه (رحمه الله) كان له اهتمام بهذا المجال، وإن لم يكن كبيراً، فقد رأيناه أنه يستشهد أحياناً:

أ- القرآن الكريم نفسه لتوضيح الآية التي هو بصدد تفسيره، فمثلاً في تفسير قوله تعالى: [وهو الذي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ] [الرعد: ٣]، اعتمد على تفسير الزوجين بالصفين بآيات أخرى، بقوله: "...وجعل فيها من كل الثمرات زوجين اثنين أي: صنفين، كالخلو والحامض، وبشهد لتفسير الزوج بالصنف قوله تعالى في سورة الحج عن الأرض: [وَأَنْتَبَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ] [الحج: ٥]، وتكرر ذلك في سورتي الشعراء ولقمان" (ضيف، ٢٠٠٠م، ص ٤١٠).

وفي قوله تعالى: [وَالسَّيْفُ الْمَرْفُوعُ] [الطور: ٥] اعتمد على آيات أخرى في تفسيره، إذ ذكر أن السقف المرفوع هو: "الساء، بشهادة قوله تعالى في سورة الأنبياء [وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا] (الأنبياء: ٣٢)، وقوله في سورة الرحمن: [وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا] (الرحمن: ٧)": (ضيف، ٢٠٠٠م، ص ٨٧٢).

وفي بيان (إذا) التي اشتهرت -في النحو- بأنها ظرفية شرطية تفيد الاستقبال، أوضح أنها خارجة عن معنى الاستقبال- على بعض التقديرات- مستشهداً بآية قرآنية في ذلك، فبعد أن سرد أقوال العلماء في كون سورة النصر نزلت قبيل وفاته صلى الله عليه وسلم، قال: (...و[إذا] بذلك خارجة عن معنى الاستقبال، كما في قوله تعالى بسورة الجمعة يحكي تفرق الصحابة عن الرسول وهو يخطب يوم الجمعة حين تأتي قافلة بتجاراتهم قائلًا: [وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْقَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا] [الجمعة: ١١]" (ضيف، ٢٠٠٠م، ص ١٠٤٤).

والنحويون ذكروا خروج (إذا) عن معنى الاستقبال، واستشهدوا لها بالآية التي وقعت في سورة الجمعة (ابن هشام، ١٩٨٥، ج ١/ص ١٣٠)، أما ما جاء في سورة النصر، فقد ذكر أكثر المفسرين أنه للمستقبل. (ينظر: الزمخشري، ١٤٠٧هـ: ج ٤/ص ٨١٠، ودرويش، ١٤١٥هـ، ج ١٠/ص ٦٠٥)، ومنهم من فضل في ذلك بناء على نزول السورة قبل تحقق الفتح أو بعده، فقد أورد الألوسي (ت/١٢٧٠هـ) في تفسيره قوله: "فإن كانت السورة الكريمة نازلة قبل ذلك فالأمر ظاهر وتتضمن الإعلام بذلك قبل كونه وهو من أعلام النبوة، وإذا كانت نازلة بعده فقال الماتريدي في التأويلات: إن إذا بمعنى ز التي للماضي، ومجيبها بهذا المعنى كثير في القرآن..." (الألوسي، ١٤١٥هـ، ج ١٥/ص ٤٩٢، وينظر: الماتريدي، ٢٠٠٥م، ج ١٠/ص ٦٤٣).

وهذا يوافق الدكتور شوقي ما أورده الألوسي في تفسيره وغيره، ولم يتضح لي هل قال بذلك من عنده ووافق ما عند بعض المفسرين، أو أنه اطلع على آرائهم وصدر منها، لأنه لم يصرح بذلك. وهذه مسألة دقيقة قد لا ينتبه لها الكثيرون.

ولم يقتصر شوقي في تفسير الألفاظ على القرآن نفسه، بل نراه يوفق بين آيات يتبادر من ظاهرها التعارض، وهو بذلك يؤكد أن القرآن الكريم معجز، لأنه من عند الله تعالى، فيستحيل أن يكون فيه أي تعارض أو تناقض، ففي تفسيره لقوله تعالى: -في وصف الرياح المسخرة لسيدنا سليمان عليه السلام:- [وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً] {الأنبياء: ٨١} يقول: "ووصف الريح هنا بأنها (عاصفة)، ووصفها في سورة ص بأنها رُخاء لينة حيث قال: [سَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ] {ص: ٣٦}، وكأنها كانت تارة تكون عاصفة قوية، وتارة تكون رخاء لينة حسب الظروف، وكلها تجري بأمر سليمان وحسب رغبته..." (ضيف، ٢٠٠٠م، ص ٥٤٣).

وفي القراءات القرآنية- "القراءات: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء، مخلفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم، سواءً أكانت المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها؟" (ينظر: الزرقاني، د.ت، ج ١/ص ٢٨٨، وعبد الحميد، ١٩٦٩، ص ٢٧٢، والصباغ، ١٩٩٠، ص ١٠٥، وسلقيني، ٢٠٠٢، ص ١٢، والقاضي، ٢٠٠٥، ص ٥)- التي قد يترتب عليها اختلاف في المعنى، نراه أيضاً يوردها -في بعض المواضع-، كما في تفسير الآية التي أشكلت على بعض الناس، وهي قوله تعالى: [وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدْمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا] [الإسراء: ١٦]، فيقول: [أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا] أي أكثرنا منهم، إذ من معاني أمر -في معجم لسان العرب- أكثر، وفي قراءة أبي عمرو -وهو من القراء السبعة- [أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا] أي جعلناهم أمراءها [فَفَسَقُوا فِيهَا] وهي قراءة توافق تفسير ابن عباس لعبارة [أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا] قال: سألنا رؤساءها ففسقوا فيها، أو على التفسير الأول: أكثرنا منهم، ففسقوا فيها". (ضيف، ٢٠٠٠م، ص ٤٦٩. والقراءة التي أوردها عن أبي عمرو ليست هي القراءة المشهورة المتواترة والثابتة عنه في طريق راويه الدوري والسوسي، بل ورد عنه من طريق أبي العباس، ينظر: ابن مجاهد- بتحقيق د.شوقي ضيف-، ١٤٠٠هـ، ص ٣٧٩، وابن منظور، ١٤١٤هـ: ج ٤/ص ٢٨، والقاضي، ٢٠٠٠م، ص ١٧٨-١٨٨)

ب- كذلك كان استشهاده بالأحاديث النبوية، يوضح بها تفسير ما أجمل من القرآن الكريم، ويبين بها ما أشكل، مع التنبيه على حكم الحديث، من حيث الصحة والضعف أحياناً، كما في تفسيره لقوله تعالى: [وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ] [الأنعام: ٥٩]، بقوله: "تمثيل كَأَنَّ الْغَيْبَ خَزَائِنٌ وَلَهُ مَفَاتِيحُ، وفي الحديث النبوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم قرأ سورة لقمان [إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] [لقمان: ٣٤]). (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٢٣٠، والحديث: رواه البخاري في صحيحه، ١٤٢٢هـ، ج ١١٥/٦، برقم ٤٧٧٨).

إلا أن ما يلاحظ عليه أنه لا ينقل الحديث نصاً بل أحياناً يقتصر على محل الشاهد وأحياناً يعبر عن بعض فقراته بتعبيره -كما في حديث تحريم العسل الآتي-.

ج- ومن المأثور أيضاً أقوال الصحابة، فقد كانت أقوالهم في تفسيره رافداً من روافده، ذاكراً لأقوالهم في بعض المواطن من تفسيره، وأكثر من صرح به منهم هو الصحابي الجليل جبر الأمة عبد الله ابن عباس (ت/٦٨هـ)، من ذلك ما تطرق إليه في تحديد المراد ب (اليسرى) الوارد في قوله تعالى: [يُنِيرُكَ لِلْيُسْرَى] [الأعلى: ٨]: "اختلف المفسرون في معنى اليسر، والصحيح ما ذكره القرطبي عن ابن عباس من أن المراد بها الشريعة الإسلامية، ويلاحظ اليسر في جميع أحكامها وأوامرها ونواهيها، وفي سورة البقرة: [يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ] [البقرة: ١٥٨]، ولذلك كان الأصل في الشريعة الإباحة، والتحريم هو الذي يقتضي النص عليه". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ١٠١، وينظر: القرطبي، ١٩٦٤، ج ٢٠/ص ١٩، إلا أن الوارد فيه عن ابن عباس يختلف بعض الشيء بل ما ذكره ورد عن بعض التابعين، إذ جاء فيه "...قال ابن عباس: يسرك لأن تعمل خيراً. وابن مسعود: لليسرى أي اللجنة. وقيل: توفقتك للشريعة اليسرى، زخيا لحنفية السمحة السهلة، قَالَ مَعْنَاهُ الضَّحَاكُ").

د- أما التابعون، فلم يصرح بأسماهم إلا نادراً جداً، ومن ذلك ما أورده عن التابعي الجليل عكرمة (ت/١٠٥هـ) في تفسير لفظة (المزمل)، ومال إليه، وذلك في قوله تعالى: [يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ] [المزمل: ١] إذ ذكر أنه: "اختلف المفسرون في معنى المزمل، فقال أكثرهم: هو المزمل في ثيابه أي الملتف، وقالوا كان الرسول صلى الله عليه وسلم نائماً بالليل متملاً في قطيفة فنودي، وعن عكرمة تلميذ ابن عباس أن المزمل من ازمل أي حمل، والزمّل هو الحمل، أي: يا أيها الحامل أمراً عظيماً هو الرسالة النبوية، ولعل هذا التفسير أرجح من غيره". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٩٧٢، وقد ذكر هذا التفسير عن عكرمة الطبري في تفسيره، ٢٠٠٠، ج ٢٠/ص ٢٠، إلا أنه ذهب إلى أن التفسير الأول هو الأظهر، وذكر المعنيين أيضاً الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج ٤/ص ٦٣٦، والرازي، ١٤٢٠هـ، ج ٣٠/ص ٦٨١، والقرطبي، ١٩٦٤، ج ١٩/ص ٣٣، وأكثر المفسرين مالوا إلى التفسير الأول الظاهر للمشهور لمعنى التزمّل، ولعل الدكتور شوقي اختار المعنى الثاني تجنباً لما أورده بعض المفسرين من أن التعبير بالمزمل فيه تلميح إلى معنى الركون إلى الراحة التي لا تليق بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع أن هذا الوهم مردود أشد الرد).

هذا وقد كان يركن إلى المأثور (من القرآن والسنة وأقوال السلف) في ترجيح بعض الأقوال على بعض -كما في المثال السابق وكما سيأتي في الأسس التي اعتمدها في الترجيح-.

٣- مسلكه في تناول القضايا اللغوية:

وقف الدكتور عند بعض الألفاظ القرآنية، بالشرح والإيضاح وأحياناً ببيان الأصل والاشتقاق وتعيين الصيغة، ولا سيما تلك التي يكتنفها خفاء وغرابة، كما أنه يشكل الكلمات الغريبة ويضبطها، ليسهل قراءتها وفهمها، كما في تفسير التكوير في قوله تعالى: [إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ] [التكوير: ١] بقوله: "يأتي

التكوير بمعنى ضمّ الشيء بعضه إلى بعض، ومعنى السقوط ومعنى الإلقاء والإزالة، والتكوير في الآية يدل على الذهاب والفناء، فهو يلتقي بمعاني التكوير اللغوية الثلاثة السابقة، ومعانيها متقاربة، وتدل إلى إفناء الشمس وذهابها". (ضيف، ٢٠٠٠: ص ٩٩٧)

وهذه المعاني متقاربة، فهو من التنوع في التفسير وليس من التضاد (ينظر: الطبري، ٢٠٠٠، ج ٢٤ / ص ٢٣٧)، ولعلّ المعنى الأول هو الأصل في الباب، ولذا ذكر ابن فارس، (في معجم المقاييس، ١٩٧٩، ج ٥ / ص ١٤٦)، قوله: (كَوَّرَ) الكاف والواو والراء أَضْلَّ صَحيحٌ يُدْلُّ على دَوْرٍ وَجَمْعٍ...ومنه قوله تعالى: [إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ] [التكوير: ١] كَأَنَّهَا جُمُعَتْ جَمْعاً، واقتصر الأصفهاني، (١٤١٢هـ، ص ٧٢٩) على قوله: (كَوَّرَ الشيء: إدارته وضمّ بعضه إلى بعض).

وفي تفسير [عُضِينَ] من قوله تعالى: [الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ] [الحجر: ٩١] يقول فيه: "جمع عضة، وهي الجزء من الشيء وأصلها: عَضُو، فخذت الواو، وعُضِيت عنها عنها الهاء، مثل سنة، وجمعتا جمع مذكر سالم، أو ملحقتين به، فيقال: عُضِينَ كسنيين".... ثم أخذ يفصل القول في تفسير الآية. (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٤٤٠)، واختلف في أصل (عُضِينَ)، وهل هو جمع عضة، أو عضو، كما اختلفوا في معناه هل هو بمعنى التفرقة أو الأجزاء، إذ معنى عضى الشاة جعلها أعضاء. أو من عضته إذا بهتته، (ينظر: ابن فارس، ١٩٧٩، ج ٤ / ص ٣٤٧، والزخشي، ١٤٠٧هـ، ج ٢ / ص ٥٩٠، والأصفهاني، ١٤١٢هـ، ص ٥٧٢).

والأساس الذي اعتمدته شوقي في تفسيره اللغوي أنه إذا ذكر المفسرون للفظه أكثر من معنى وكانت تحتمله، فهو يعتمد تلك المعاني ويحمل اللفظة عليها غالباً، -كما لاحظناه في تفسير التكوير آنفاً وغيره- ونراه أحياناً قليلة يفاضل بينها.

ففي تفسير [الكوثر] الوارد في قوله تعالى: [إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ] [الكوثر: ١] تعرض لبيان صيغته ومعناه في اللغة قائلاً: "الكوثر في اللغة على صيغة فاعل، الكثير من كل شيء، أو بعبارة أدق المفرط الكثرة، كما قال الزخشي، ومثّل به بقول أعرابية رجع ابنها من سفر حين سُئِلَتْ بِمَ رجع ابنك؟ قالت: رجع بكوثر، والكوثر أيضاً السيد، الكثير الخير، وعلى وزنه النوفل، وهو المعطاء، واشتق منه تكوثر الرجلن أي أصبح كثير الخير والمعطاء، وذكر المفسرون تفاسير كثيرة للكوثر، فقبل القرآن والنبوة، لأن الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، وقبل: الكوثر الإسلام والنبوة، وقبل: الخير الكثير الذي يعطيه الله لأمة الرسول يوم القيامة،". وذكر معاني أخرى ثم قال: "وجميع ما ذكره المفسرون في تفسير الكوثر أعطاه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم: أعطاه النبوة، وأعطاه الخير الدنيوي والأخروي، وأعطاه نور الهدى والسعادة في الدارين". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ١٠٤٢، وينظر: الزخشي، ١٤٠٧هـ، ج ٤ / ص ٨٠٦).

ويؤكد الدكتور شوقي أن ألفاظ القرآن الكريم كلها عربية، راداً على ما يقال بأن فيه ألفاظاً أعجمية، وقد حلّل ذلك ووجهه توجيهاً جميلاً، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: [إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] [يوسف: ٢] فيقول: "... [عَرَبِيًّا] أي بلغتكم، وقد يقال: إن به بعض كلمات أعجمية، وهو قول غير سديد، لأن تلك الكلمات عَرَبِيَّتُهَا العرب واستعملتها في أشعارها بنقص بعض حروفها أو زيادتها أو الاشتقاق منها، وجرت مجرى الكلمات العربية الأصلية فأصبحت بذلك عربية، ولذلك يقول جلّ شأنه في سورة الشعراء إنه: [بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ] [الشعراء: ١٩٥]..." (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٣٨٨).

كذلك نجد للمسائل النحوية ذكراً لها بين الحين والآخر، إلا أنه لم يتعمق فيها، كما صرح بذلك في مقدمة تفسيره، كما أن هناك آيات عدة أشكل إعرابها على الكثيرين، ومع ذلك لم تنف فيها للدكتور على ذكر وبيان، ولعلّ ذلك أن تلك الآيات لا يمكن لعبارات قليلة وأعراب موجزة أن توفيقها حقها من التوضيح والبيان.

ومما تطرق إلى إعرابه -مثلاً:- ما ذكره في قوله تعالى: [ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَبِيرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ] [الحج: ٣٠]: "فيقول: [ذَلِكَ] يؤتى بها للفصل بين كلامين، أو بين وجهي كلام واحد، وهي مبتدأ وخبرها محذوف، أي ذلك بيان أو ذكر...". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٥٥٣)، وجعل الزمخشري (١٤٠٧، ج ٣/ص ١٤٥): [ذَلِكَ] خبراً لمبتدأ محذوف، أي الأمر والشأن ذلك، وذكر الإعراب الثاني وغيره: درويش (١٤١٥هـ، ج ٦/ص ٤٢٦).

وفي بيان مجيء (المقيمين) بالنصب بين مرفوعات، في قوله تعالى: [لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ] [النساء: ١٦٢] يقول: "لم تعطف الكلمة بالرفع ونُصبت على التخصيص بالمدح للتنويه بهم". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ١٧٩).

وهذا الوجه في إعراب هذه المقطع من الآية هو من أبرز ما قيل فيه وهو مذهب البصريين، وفيه أوجه أخرى أوصلها بعضهم إلى خمسة (ينظر: السمين الحلبي، دت، ج ٤/ص ١٥٣، وما بعدها، وينظر: درويش، ١٤١٥هـ، ٣٧٧/٢).

وأحياناً يفهم من تفسيره لبعض الألفاظ ولا سيما (لبعض الصيغ والحروف)، أنها في العربية تنفيد ذلك المعنى، ف (لولا) قد يأتي للتوبيخ، كما يأتي حرف امتناع لوجود، فيفهم ذلك من تفسيره، فمن الأول ما فسر به قوله تعالى: [لولا يَنْهَاهُمُ الرَّبِّائِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ] [المائدة: ٦٣] فيقول: [لولا] تخصيض للتوبيخ، يوخ الرباين والأخبار أنهم لم ينهوا قومهم عن القول الفاحش وأخذ السحت...". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٢٠٢).

وفي تفسير قوله تعالى: [إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا] [النصر: (٣)] قال: (أي مبالغاً في قبول التوبة من المكلفين بحيث يتوقع كل تائب قبولها، وواضح أن المبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه، وأنه يتقبل التوبة بحيث ينزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه) (ضيف، ٢٠٠٠، ص ١٠٤٤).

أما مباحث المعاني والبيان، فقد أولى بها عناية واضحة، أكثر من عنايته بالمسائل اللغوية والنحوية، وقد كان متأثراً في غالبها بالعلامة الزمخشري (٥٣٨هـ) في كشفه، ولم يقتصر اهتمامه بهذا الجانب على الآيات التي تتحدث عن الخلق والأخلاق وما فيها من جمال وإبداع في التعبير وبلاغة في الإفصاح والبيان، بل تعدى بها إلى مباحث العقيدة والإيمان، وأول على وفقها بعض الآيات التي يتر عليها كثير من العلماء على ظاهرها، ويوكلون العلم بها على حقيقتها إلى الباري تعالى، مما يحتم علينا أن نقف عندها بشيء من البيان، كما يتضح من المبحث الثاني الآتي -إن شاء الله-

والملاحظ أنه يُقَلَّ من ذكر المصطلحات البلاغية، وإنما يركز على الإشادة بمجالية التعبير، وحسن البيان، وبديع النظم:

من ذلك ما تطرق إليه في قوله تعالى: [إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا] [الفتح: ١] بقوله: "أي بيناً وأوضحنا، والمراد إما ما حدث في صلح الحديبية من الهدنة بين الرسول وقريش، ورضاها بأن يدخل مع أصحابه مكة في العام القادم معتمراً، وإما المراد وعد الله لرسوله بفتح مكة عما قريب، وقال: [فَتَحْنَا] ولم يقل (إنا فتحت) معبراً بالفعل الماضي لدلالته على أن هذا الفتح واقع لا محالة وكأنه وقع فعلاً ويخبر عنه، واستظهر الزمخشري في تفسيره الرأي الثاني، والفتح: الظفر بالبلد". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٨٥٠، ويقارن بـ الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج ٤/ص ٣٣٢).

ومن ذلك ما تعرض له في تفسيره لقوله تعالى: [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ] بقوله: " [أَلَمْ تَرَ] استفهام يقصد به التعجب والتشويق إلى سماع ما بعده [وَهُمْ أُلُوفٌ] قيل: كانوا أربعة آلاف، وقيل: بل أكثر [حَذَرَ الْمَوْتِ] قيل: هو الموت الحقيقي أي حذراً من الموت بسبب وباء أو عدو [فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا] فماتوا، ثم ردهم إلى الحياة بعد أيام قليلة، أو في الحال، وقيل: الموت في الآية مجازي عن تذوق النذل والخوف [ثُمَّ أَحْيَاهُمْ] بما بثّ فيهم من الشجاعة". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٧٦).

ومن المعلوم أن هناك سوراً قرآنية افتتحت بالتسبيح بصيغه المختلفة كما أن هناك آيات ورد فيها التسبيح كذلك، وقد بين سبب الاختلاف في ذلك، كما حمل تسبيح ما في السموات والأرض على الحقيقة، وذلك في تفسيره لمستهل سورة الحديد: [سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] [الحديد: ١] بقوله: "التسبيح: تنزيه الله، وعبر الله عنه بالفعل الماضي كما هنا، وفي الحشر والصف، وبالمضارع [تُسَبِّحُ] [الإسراء: ٤٤]، كما في الإسراء، و[يُسَبِّحُ] [الإسراء: ٤٤] كما في الإسراء أيضاً، والرد والحشر والجمعة والتغابن، وبالأمر كما في سورة الأعلى وغيرها، لأن تسبيح الكون لله مستمر في كل الأوقات، وهو تسبيح بالقول كتسبيح الأنبياء والمؤمنين، وتسبيح بدلالة الحال وشهادته على صانعه وهو تسبيح الجمادات والطير والحيوانات، وقال الزمخشري في تفسير [مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] أي ما يتأتى منه التسبيح ويصح، والتفسير الأول أولى، لقوله تعالى في سورة الإسراء [وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ] [الإسراء: ٤٤]". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٨٩٩).

٥- وفي مباحث الفقه، نجد أن الدكتور شوقي يتطرق أحياناً إلى الأحكام الشرعية التي تدل عليها الآية صراحة، وربما أشار إلى آراء المذاهب الفقهية المختلفة بإيجاز، مع الإحالة إلى كتب الفقه في تفاصيلها، من ذلك ما تطرق إليه من تعريف لبعض المصطلحات والأحكام الفقهية المتعلقة بالطلاق لدى تفسيره لقوله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ] [الطلاق: ١]: "بقوله: الطلاق: لغة التخلية من وثاق، يقال: أطلقت البعير من عقاله، وشرعاً تخلية الرجل زوجته من عقد الزواج ووثاقه، والخطاب للنبي والمقصود هو وأمته كما يتضح من توجيه الأحكام إليها كما في قوله تعالى: [إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ] أي: اللائي تزوجتموهن ودخلتم بهن [فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ] ، والعدة: المدة التي حددها الشرع للزوجة تقضيها دون زواج بعد طلاقها أو وفاة زوجها عنها، وهي هنا بعد طلاقها، وسميت عدة لأنه فيها تعدد الأيام المضروبة على الزوجة والتي تنتظر بعدها الحرية الموعودة، ومعنى العبارة فطلقوهن مستقبلات [لِعَدَّتِهِنَّ] وقال الشافعي: اللام في [لِعَدَّتِهِنَّ] للتوقيت، بمعنى عند، أو في ، أي في الوقت الذي يصلح لعدتهن وهو الطهر، ويخلفن حتى تنقضي عدتهن، وهي ثلاثة أطهار عند مالك والشافعي وثلاث حيض عند أبي حنيفة، وهو خلاف ناشئ من تفسير عدتهن [بـ] [ثَلَاثَةُ قُرُوءٍ] [البقرة: ٢٢٨] في سورة البقرة، فقيل: القرء الطهر وقيل: بل الحيضة..." (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٢٠٢).

وأجمل في أحكام السرقة، وأحال لمعرفة تفاصيلها إلى الكتب الفقهية، إذ يقول: "السرقة: أخذ الشيء مما له منفعة، خفية عن صاحبه، وتحديد مقدارها الموجب للحد وكيفية القطع مما اجتهد فيه أئمة المذاهب الفقهية، وبيان ذلك في كتب الفقه". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ١٩٥).

-المسائل الأصولية تعرض لها أيضاً الدكتور شوقي بإيجاز شديد في مواطن محدودة، ومن المسائل التي أكد عليها في تفسيره، مسألة حجية السنة، فبعد أن أشار في مقدمة سورة الأحزاب إلى أن السنة جزء من الشريعة، أكد على ذلك ثانياً في ثناياها، وردّ على بعض الشبهات التي تثار في ذلك، وذلك لدى تفسيره لقوله تعالى: [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ] [الأحزاب: ٣٦] فيقول: "والآية نص في وجوب امتثالنا للسنة المحمدية، وأنها جزء متمم للشريعة الإسلامية في كل ما يتصل بالدين، ولا عبرة لما جاء من أنّ الرسول وجد قوماً يَأْبُرُونَ أي يلتحقون بخلهم، فقال: لو تركتموها لصلحت وأخذوا برأيهم ثم قالوا له: تركناها فلم تصلح، فقال لهم: أنتم أعلم بأمور دينكم، وليست المسألة من أمور الدين، وإنما مسألة دينوية وهي بذلك تخرج عمّا أمر الله المسلمين به من الأخذ بأحاديث الرسول محمد وسنته، مما يتصل بالشريعة". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٦٩٧)، وحديث تأبير النخل بمعنى تلقيحه-صحيح أخرجه مسلم (٢٦١/ت) في صحيحه (د.ت، ج ٤/ص ١٨٣٥) رقم الحديث (٢٣٦١، و ٢٣٦٢)، وقال فيه النووي (٦٧٦/ت) في شرح صحيح مسلم (١٣٩٢هـ، ج ١٥/ص ١١٦)، بعد سرد أحاديث الباب: "أنتم أعلم بأمور دينكم قال العلماء قوله صلى الله عليه وسلم: (من زأب) أي

في أمر الدنيا ومعاشها لا على التشريع، فأما مقاله باجتهاده صلى الله عليه وسلم ورأه شرعاً يجب العمل به وليس إibar التخل من هذا النوع بل من النوع المذكور قبله..."

وأكد على أهمية اتباع السنة في أكثر من موطن فضلاً عما سبق، منها ما تناوله في قوله تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢) [آل عمران: ٣١-٣٢] فقال عن الآية الأولى: المحبة الإلهية في الآية مقرونة باتباع الشريعة المحمدية، فمن تبع الرسول أحب الله وأحبه الله، وعن السيدة عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله) وتلك المحبة تقتضي طاعة الله... ثم قال: "ودلت الآيتان على منزلة الرسول عند ربه فقد جعلت الأولى متابعة الرسول تلزمها محبة ربهن وقرنت الثانية طاعته بطاعة الله". (ضيف، ٢٠٠٠، ص. ١٠١ والحديث الذي أشار إليه رواه ابن أبي حاتم عن عائشة مرفوعاً وفي سنده ضعف، وقد روي بسند صحيح بلفظ "أفضل الإيمان- ولفظ وأوثق عرى الإيمان- الحب في الله والبغض في الله". ينظر: ابن رجب الحنبلي، ٢٠٠١، ج ٢/ص ١٨٩، وابن كثير، ١٩٩٩، ج ٢/ص ٣٢، والسيوطي، د. ت، ج ٨/ص ٨٧).

ورّد على من يقف عند ظواهر النصوص ولا يعتدّ بالقياس كمصدر من مصادر التشريع، بحجة أنه من اتباع الظن المنهني عنه، فبعد أن فسر قوله تعالى: [وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ] [الإسراء: ٣٦] قال: واتخذ الظاهرية من عبارة [مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ] دليلاً على إبطال الاجتهاد والقياس في أمور الدين، والمراد كما ذكرنا العلم بأمر الناس لا بأمر الدين، ورّد الزمخشري على الظاهرية قائلاً: (استدل بالآية مبطل الاجتهاد ولم يصح، لأن الاجتهاد في الدين نوع من العلم، وقد أقام الشرع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به). (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٤٧٣، وينظر: ابن حزم، د. ت، ج ١/ص ٢١، و٧٨، والزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج ٢/ص ٦٦٧).

٦- أما المسائل العقدية، فقد كانت عبارته فيها موجزة مقتضبة، وغاية ما يقال: أنه سلك في تفسيره لآيات العقيدة مسلك الأشاعرة في الأعم الأغلب، إذ يقتضي آثارهم، ويسير على خطاهم، في تقرير وتوجيه الآيات المتعلقة بصفات الباري ونحوها.

وفيما يلي نشير إلى بعض أقوال الدكتور التي توضح بعض معالم مذهبه في هذا المجال، وعلى سبيل المثال: ما أورده في تفسيره لقوله: [قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي] [ص ٧٥]، يقول: "وخلقه هنا بيدي الله تمثيل، لأن الله تفرد بخلق آدم دون أب وأم، بالأمر التكويني كما ذكرت آية آل عمران، والله منزّه عن أن يكون له يد أو أي عضو مثل الإنسان، والتثنية في اليد لبيان مزيد قدرته جلّ شأنه..." (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٧٦٠).

وفسر [وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا] {الفجر: ٢٢} بقوله: "أي ظهرت آيات قدرته، وقيل: جاء أمره". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ١٠١٤).

ووضع قاعدة عامة في تفسير أسماء الله تعالى وصفاته، كما في تفسيره للخوف من مقام الله في قوله تعالى: [وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ] [الرحمن: ٤٦]: بقوله: "أي خشي اطلاعه على أعماله ومراقبته له، فأمن بدينه وأخلص له، وكل ما جاء في القرآن مما قد يفيد تشبيهاً أو تجسيدا تمثيل لعظمة الله وجلاله كما في ذكر المقام هنا". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٩٣٨).

وما لاحظنا عليه- في الغالب- أنه في مثل تلك القضايا لم يسلك مسلك العلماء القائلين بإمرارها على ظاهرها -وهو ما يعرف عند الأكثرين بمذهب السلف-، بل أولها وفق ما تقتضيه اللغة، من ذكر لوازمها التي تكون معروفة للمكلف، وهي مناط العلم والعمل لديه. ٠٠٠

وهناك مسائل عقدية كان للدكتور رأي وتوجيه يختلف عما هو المشهور عند جمهور العلماء سنتناولها بإذن الله بشيء من التفصيل في المبحث الآتي.

٧- عدم الخوض في تعيين الشخصيات والتواريخ والمواقع التي سكّت القرآن الكريم عنها:

يرى الدكتور شوقي الضيف أن العبرة في القصص القرآني بمضمون أحداثها وعاقبة شخصياتها التي تُكوّن عناصرها، وليست في تعيين أسائها وتواريجها. من ذلك ما ذكره في قصة ذي القرنين بقوله: "اختلف المفسرون في ذي القرنين المذكور في هذه القصة، وهل هو إسكندر المقدوني أو ملك يمني هو تبع أو كرب الحميري أو ملك فارسي هو أفريدون بن جمشيد؟، وتعيينه ليس ضرورياً، لأن القرآن الكريم لم يعينه، وقد يكون ملكاً في العصور السحيقة غير هؤلاء جميعاً، والقرآن قيل: ضفيران كانتا في شعره، وقيل: قرنان من نحاس كانا في خوذته، وكلها ظنون وتخمينات، وذو القرنين في قصة القرآن كان ملكاً صالحاً، يوحى إليه..." (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٥٠٠-٥٠١).

وكذلك في تعيين المقصود في قوله تعالى: [وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا] [الأعراف: ١٧٥] يقول: "قيل: هو رجل من بني إسرائيل يسمى بلعم من أهل البلقاء، وقيل: بل هو أمية بن الصلت التقي، وشخصيته لا تعيننا إنما تعيننا قصته". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٢٨٩). وفي قصة الطيور التي أحياها الله لنبيين إبراهيم عليه السلام: يقول: "اختلف المفسرون في هذه الطائرات الأربع ما هي؟ ولا طائل تحتها". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٨٢).

ولا يعني ذلك أنه لا يتعرض لذلك مطلقاً، بل ربما أشار إليه من غير أن يوليه اهتماماً، وأكثر ما أورده من ذلك ما كان متعلقاً بالقصص ولا سيما قصة يوسف عليه السلام فقد أشار في مواضع متعددة في سورة يوسف إلى ما جاء في الإصحاحات المختلفة من الكتاب المقدس —عند أهله— بهذا الصدد، قاصداً منه بيان ما وقع فيه من تحريف في مقابل حفظ الله تعالى للقرآن. من ذلك ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى: [فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ] [يوسف: ١٥]، يقول: "جواب [لما] محذوف، وتقديره: آذوه إيذاء شديداً، وفي التوراة بالإصحاح السابع والثلاثين من سفر التكوين أن إخوة يوسف ذهبوا ليرعوا غنم أبيهم في شكيم، وتوغلوا بها إلى دوتان، فقال يعقوب لابنه يوسف: اذهب انظر سلامة إخوانك وسلامة الغنم وانتني بالخبر، فهو الذي أرسل —في التوراة— يوسف إلى إخوته، وليس فيها ما سبق في السورة من حوار بين إخوة يوسف وأبيهم من أخذ يوسف معهم وخوف أبيهم عليه من أن يأكله الذئب، وفي قصة يوسف في التوراة بسفر التكوين مغايرات أخرى لقصته القرآنية وبعض تفاصيلها، ومرجع ذلك إلى تحريفات كثيرة دخلت على التوراة وخاصة أن يوسف نزل مصر واستقر بها في عصر الهكسوس الرعاة في القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد أي قبل تكون الشعب الإسرائيلي بقرون طوال، وتفاصيل كثيرة أهملت في قصته أثبتتها هذا السورة القرآنية الربانية". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٣٩١).

لكن إذا كانت الأخبار التي تساق من قبيل (الإسرائيليات) التي تخل بمقام الأنبياء وعصمتهم تبه على ذلك وردّها، و(الإسرائيليات: جمع، مفردة إسرائيلية، نسبة إلى إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام)، والمقصود بها: كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني، أو غيرها). (ينظر: الذهبي، ١٩٧٦، ج ١/ص ١٦٥، وعبد الحميد، ١٩٨٩، ص ٢٩، وعبد الحميد، ١٩٦٩، ص ٢٨٢).

من ذلك ما يروى في قصة داود عليه السلام من تعلق قلبه بزوجة أحد جنوده لما رآها، وأمره بتطليقها ليتزوجها، فهذه القصة المختلفة لا تصح سنداً ولا متناً، ولذلك قال الدكتور شوقي: "والقصة مروية في سفر الملوك بالعهد القديم بصورة تخل بعصمة النبي داود، وهكذا القرآن دائماً يخلي قصص الأنبياء من زلاتهم التي يحكيها العهد القديم مثل قصة لوط وابنتيه، وما في القرآن عن الأنبياء هو الحق". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٧٥٤).

لكنه في تفسير قوله تعالى: [وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ] [ص: ٣٤] ساق رواية أسندها لأحد أقطاب الروايات الإسرائيلية، وهو وإن صدرها بلفظ يفيد الاحتمال، وحاول أن يوجهها توجيهاً سائفاً، إلا أنها لا تخلو من شائبة وإخلال، إذ يقول: "ذكرت عدة روايات وقصص

عن هذا الجسد، وربما كان المقصود صماً ارتضى من بنت ملك صيدون أن تعبدته حين تزوجها كما في رواية لوهب بن منبه، وأقنعها سليمان بعبادة ربهما وكسر الصم". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٧٥٦).

ولعل الأقرب إلى الصواب في تفسير الفتنة هي ولده الميت، وأنه الجسد الذي أُلقي على كرسيه، بناء على ما جاء عند البخاري (ت/٢٥٦) -في صحيحه- (١٤٢٢هـ، ج ٤/ص ٢٢ -برقم ٢٨١٩)، وغيره أن سليمان حلف قائلاً: ((لَأُطَوِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ، أَوْ تَسْعَ وَتَسْعِينَ كُلُّهُنَّ، يَأْتِي بِقَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنَّ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً، جَاءَتْ بِشَقٍ رَجُلٍ...)) (ينظر: كنعان، ١٩٩١، ص ٦٠١). كما أنه أورد بعض الروايات والأخبار في بعض القصص القرآني، مما يمكن أن تعد من الإسرائيليات التي لم يرد في شرعنا ما يردّها أو يؤيدها بل تدخل ضمن الإذن الوارد في الحديث النبوي.

٨- وفيما يخص أسلوبه، فقد أوماً في مستهل تفسيره أنه راعى الإيجاز والاختصار في تفسيره كما يوحي بذلك أيضاً عنوان تفسيره (الوجيز في تفسير القرآن الكريم)، وأسلوبه يتميز بالدقة والعذوبة في الألفاظ، والسلاسة في التعبير، والبساطة في التوجيه، فلم يُردّ لتفسيره أن يكون جامعاً لشتات الأقوال، ولا مجمّعاً يودع فيه متناثر الآراء، وإن رأى حاجة في توضيح مسألة ما بسط فيها القول بالقدر المطلوب، ثم لا يلبث أن يعود إلى منهجه الذي رسمه لنفسه، من الاختصار على ما لا بد منه، ولا غرو في ذلك، فقد كان رحمه الله تعالى قامة في اللغة، مقدماً فيها، كما كان أيضاً عمدة في الأدب، منظراً ومؤرخاً له، جال في أرجائه، وغاص في غماره، وقد ظهر آثار ذلك في مؤلفاته.

وقد انعكس أثر هذا الإيجاز الذي توخاه على جوانب متعددة من تفسيره، من أبرزها:

- أنه لم يفسر كل كلمة قرآنية، ولا كل مقاطعها، بل إنه يمر بعض الأحيان ببعض الآيات لا يقف عندها، ولا يفسرها، ولعل ذلك لوضوحها.
- إذا سبق له تفسير آية أو مسألة فلا يعيد تفسيرها مرة ثانية، كما لا حظنا ذلك في الكلام على الحروف المقطعة، إذ ذكر ما قيل فيها مع إبداء الرأي الراجح عندها في مفتتح سورة البقرة، ثم أحال عليها في السور التي تلتها، وهلمّ جراً...
- كما لم يحشد تفسيره بالأقوال المختلفة والآراء المتعددة في التفسير، بل اقتصر في الغالب على قول يكون أشهر ما قيل في الآية.

المطلب الثاني

نماذج من اختياراته واهتماماته والأسس التي اعتمدها في ذلك

سبق أن قد بينا أن المنهج الذي اتبعه الدكتور شوقي ضيف في تفسيره لا يخرج عن المبادئ العامة التي رسمها العلماء بهذا الصدد، إلا أن ذلك لم يمنعه أن يكون له مواقف واختيارات رآها أقرب إلى روح الشريعة، وأدنى من مدلول النصوص القرآنية، وأكثر ملاءمة للواقع، وهذه الآراء منها ما له جذور في تراث الأمة، ومنها ما جادت به قريحته واستقلت به نظرتة -حسب اطلاعنا-، وفي كلا القسمين منها ما هو محل أخذ واعتبار، ومنها ما هو محل نظر تستلزم التوقف عندها -كما سيأتي تفصيله في المبحث الآتي بإذنه تعالى-، ولذا نحاول أن نسلط الضوء في هذا المطلب على نماذج من اهتماماته واختياراته والأسس التي اعتمدها في ذلك، فعلى الرغم من أن الدكتور شوقي رام أن يكون تفسيره وجيزاً يركز على ما لا بد منه لتوضيح النص القرآني، إلا أننا نجد له اختيارات وترجيحات بين الأقوال والآراء التي قيلت في الآيات، وهو في مثل تلك الاختيارات يعتمد على جملة من القواعد والمبادئ اللغوية والسياقية والحديثية التي هي من صميم صنيع العلماء في التعامل مع القضايا التي يعالجونها، كما أنه في بعضها قال بقول بعض من سبقوه من المفسرين القدامى والمعاصرين.

وقد اعتمد أسساً متعددة تقتصر على أبرزها بغية الاختصار، إذ لا يمكن استيفائها في هذه الدراسة، من أبرزها:

أ- الاعتماد على السياق:

السياق: هو: (مجموع ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى) (ينظر: أبو الفرج، ١٩٦٦، ص ١١٦، والعبود، ٢٠٠٧، ص ١٣٣). والسياق مرتبط أساساً من المرتكزات التي اعتمدها الدكتور شوقي في ترجيحاته، فنراه يرجح ويعول على المعاني التي هي أقرب إلى السياق وأوفق للجو العام الذي يهيم على الآيات، ففي قصة نوح عليه السلام -مثلاً- وردت الآية الكريمة: [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ] [هود: (٣٥)]، فقال -بعد أن فسر الآية-: "وقيل: هذه الآية الأخيرة خاصة بالرسول لا بنوح، وهو بعيد، إذ لا يقتضيه سياق قصة نوح". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٣٧٢). وما أبعد الدكتور شوقي ذكره بنحوه كثير من المفسرين، فقد ذكر القرطبي (١٩٦٤، ج ٩/ص ٢٩) عند هذه الآية، أنه: "قال ابن عباس: 'هو من محاورة نوح لقومه' وهو أظهر؛ لأنه ليس قبله ولا بعده إلا ذكر نوح وقومه؛ فالخطاب منهم ولهم"، وأيد الآلوسي (١٤١٥هـ، ج ٦/ص ٢٤٧) ذلك بقوله: "وما يقتضيه كلام ابن عباس من أن الآية من تنمة قصة نوح عليه السلام وفي شأنه هو الظاهر، وعليه الجمهور".

وفي قوله تعالى: [وَالطُّورُ (١) وَكِتَابٌ مَّسْطُورٌ (٢)] -من سورة الطور- فسر الآية الثانية بقوله: "أي مكتوب، وهو إما القرآن، وإما التوراة، وهي أنسب لذكر الطور قبلها" (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٨٧٢)، وقد اقتصر الدكتور على قولين، وذكر المفسرون أقوالاً كثيرة، في ذلك فضلاً عن القولين السابقين، فمنهم من فسر [وكتاب مسطور] بـ (صحائف الأعمال)، كما أن منهم من فسر بـ (اللوحة المحفوظ)، ومنهم من أعم الكتاب ليشمل سائر الكتب المنزلة. (ينظر: ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، ج ٤/ص ١٥٧، والقرطبي، ١٩٦٤، ج ١٧/ص ٥٩، وابن كثير، ١٩٩٩، ج ٧/ص ٤٢٧)، ومنهم من اقتصر على تفسير المسطور بـ (المكتوب) كالطبري في تفسيره (٢٠٠٠، ج ٢٢/ص ٤٥٤)، وأكثر المفسرين اقتصر على سرد الأقوال من غير ترجيح، ومنهم من مال إلى أن المقصود به القرآن الكريم، لكثرة الإقسام به. (ينظر: طنطاوي، ١٩٩٨، ج ١٤/ص ٣٨).

ب- اعتماد على أقوال الصحابة والتابعين في الترجيح، ففي تفسير (غساقاً) من قوله تعالى: [لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥)] [النبا: ٢٤-٢٥]: فيقول: "غساقاً) فسره ابن عباس وابن مسعود بالزهرير البارد جداً، وفسره كثير من المفسرين بسائل من مستنقع في جهنم، والتفسير الأول أولى" (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٩٩٠، وينظر: الطبري، ٢٠٠٠، ج ٢٤/ص ١٦٤).

والتفسير الثاني وإن كان هو الأشهر في تفسير الآية إلا أن التفسير الأول وارد عن الصحابة كما هو وارد عن التابعين أيضاً (ينظر: تفسير الطبري: (٢٠٠٠)، ج ٢٤/ص ١٦٤، وابن كثير، ١٩٩٩، ج ٨/ص ٣٠٧، والسيوطي، د. ت، ج ٨/ص ٣٩٦)، ولا مانع من حمل الآية على المعنيين، كما هو صنع الطبري في تفسيره (٢٠٠٠، ج ٢٤/ص ١٦٦): "فالأوجب أن يقال: الذي وعد الله هؤلاء القوم، وأخبر أنهم يذوقونه في الآخرة من الشراب هو السائل من الزهرير في جهنم، الجامع مع شدة برده النتن".

ونقل الدكتور شوقي الآراء حول وقت سورة النصر، مرجحاً ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنه، إذ يقول: "قيل: نزلت هذه السورة في منصرف الرسول من حنين، وقيل: في منصرفه من خيبر، وقيل: نزلت في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع، وعاش الرسول بعدها ثمانين يوماً أو نحو ثلاثة أشهر، ويرجح ذلك ما روي عن ابن عباس وغيره من أنها آخر سورة نزلت من القرآن". (ضيف، ٢٠٠٠، ١٠٤٤).

ج- الاعتماد على المكي والمدني في التفسير:

السور والآيات القرآنية تنقسم على مكية ومدنية (وقد لوحظ في تعريفها الزمان والمكان والخطاب، أرجحها الأول، وهو: "أَنْ" المكيّة: ما نزل قبل الهجرة، وإن كان نزوله بغير مكّة، والمدنيّ: ما نزل بعد الهجرة، وإن كان نزوله بغير المدينة". (ينظر: الزرقاني، د.ت، ج ١/ص ١٤١-١٤٢، والقطان، د.ت، ص ٦١-٦٢، وسليقيني، ٢٠٠٢، ص ٥٣).

ومن الأمثلة التي بين فيها معنى الآية على هذا الأساس ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى -في سورة المدثر التي هي من أوائل ما نزل من القرآن الكريم - [وَلَيَقُولَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا] (المدثر: ٣١): إذ فسر (في قلوبهم مرض) بقوله: "أي شك في الدين، لا نفاق، كما ذهب إليه بعض المفسرين، لأن النفاق إنما ظهر في المدينة، والسورة مكية". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٩٧٧).

وقد اختلف العلماء في ذلك فمنهم من تأولها على أن هذا من الإخبار بالغيب، أو أن المرض بمعنى (الخلاف)، ومنهم جعل هذه الآية مدنية، ولذا قال ابن الجوزي (ت/٥٩٧) فيها (١٤٢٢هـ، ج ٤/ص ٣٦٤): "وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه النفاق، ذكره الأكثرون. والثاني: أنه الشك، قاله مقاتل، وزعم أنهم يهود أهل المدينة، وعنده أن هذه الآية مدنية. والثالث: أنه الخلاف، قاله الحسين بن الفضل. وقال: لم يكن بمكة نفاق. وهذه مكية"، وقال الألوسي (١٢٧٠هـ) في تفسيره (١٤١٥هـ، ج ١٥/ص ١٤١): "أي شك أو نفاق، فيكون -بناء على أن السورة بتأملها مكية، والنفاق إنما حدث بالمدينة- إخباراً عما سيحدث من المغيبات بعد الهجرة".

د-الاعتماد على أسباب النزول في التفسير:-ولاسمها إذا صحت أسانيدها من كتب الحديث المعتمدة.

من ذلك ما تطرق إليه في تفسيره لقوله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] [التحریم ١]، إذ قال: "اختلف الراوة في سبب نزول هذه الآيات والآيتين التاليتين لها، فقيل: إن الرسول حرّم على نفسه جاريته أمّ ابنه إبراهيم المتوفى في سنته الثانية، وأشاعت ذلك زوجته عائشة وحفصة، فحلف لا يقرب زوجاته شهراً، وقيل: بل سبب نزول هذه الآيات أن الرسول كان يحب الحلوى والعسل، وأن زوجته زينب بنت جحش أهدتها امرأة زق عسل، فاستدعته ليشرب منه عندها، واستجاب لها ومكث عندها فترة فغارت منها عائشة وحفصة، ويبدو أن اليوم كان يوم أحدهما فتواصتا أنه حين يدخل على أيتها تقول له: إني أجد منك ريح مغاير، هل أكلت مغاير؟ (وهو صمغ حلو يسيل من شجر العُرفط ورائحته كريهة)، ودخل على حفصة، فقالت له ذلك، فقال: بل شربت عسلاً عند زينب ولن أعود له، وفي خبر أنه قال: حرّمته على نفسي، ووالله لا أكله أبداً، وأوصى حفصة أن لا تجرب عائشة بذلك، إذ كان يكره غضبها، وبمجرد أن خرج الرسول من عندها أخبرت حفصة عائشة، وأشاعت الخبر، وغضب الرسول وحلف أن لا يقرب نساء شهراً، وخبر العسل أصحّ سنداً إذ جاء في الصحيحين". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٩٤٣).

فخبر العسل -الذي ساقه شوقي - وارد في الصحيحين (صحيح البخاري، ١٤٢٢، ج ٦/ص ١٥٦، برقم ٤٩١٢، ومسلم، د.ت، ج ٢/ص ١١٠٠، برقم ١٤٧٤، وأورده الواحدي في أسباب النزول، ١٩٩٢، ص ٢٩١، ولفظ الحديث عند البخاري: عن عائشة قالت: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْرَبُ عَسْلاً عِنْدَ زَيْنَب ابْنَةِ جَحْشٍ وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا فَوَاطِئُتُ أَنَا وَحَفْصَةُ عَنْ أَيْتِنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقُلُ لَهُ أَكَلْتَ مَغَايِرَ إِيَّيْ أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَايِرَ قَالَ: لَا وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسْلاً عِنْدَ زَيْنَب ابْنَةِ جَحْشٍ فَلَنْ أَعُودَ لَهُ وَقَدْ حَلَفْتُ لَا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا)، أما قصة تحریم جاريته مارية فقد ذكرها أيضاً كثير من المفسرين (كالطبري، ٢٠٠٠، ج ٢٣/ص ٤٧٥ وما بعدها، والواحدي في أسباب النزول-المصدر السابق-ص ٢٩١، وابن كثير، ١٩٩٩، ج ٨/ص ١٥٩)، وهي وإن كانت دون الرواية الأولى في القوة، إلا أن ورودها بطرق متعددة حمل بعض العلماء إلى اعتمادها كالأولى في جعلها سبباً لنزول الآية، جامعاً بينها بكون القصة قد تعددت، لأنها بورودها بطرق عدة تقوت وتعززت، مع الميل إلى ترجيح الرواية الثانية، ومنهم الإمام الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ)) رحمه الله

تعالى، إذ ذكر في فتح الباري، (١٣٩٧هـ، ج ٨/ص ٦٥٧) ب أن ساق السبين، وذكر طرق خبر تحريم مارية قال عن هذا الأخير: "وهذه طُرُق يُقَوِّي بعضها بَعْضًا فَيَحْتَمِلُ أَنْ تكون الآيةُ نَزَلَتْ في السبين مَعًا".

وذهب جمع كبير من العلماء إلى ترجيح الرواية الأولى لقوة سندها، فقد قال الإمام ابن كثير (ت/٧٧٤هـ): (ابن كثير، ١٩٩٩، ج ٨/ص ١٦٠). بعد أن ساق عددا من الروايات في هذا الشأن: "والصحيح أن ذلك كان في تحريمه صلى الله عليه وسلم للعسل، كما قال البخاري عند هذه الآية..". وقال النووي (ت/٦٧٦)، في شرح مسلم (د.ت، ج ١٠/ص ٧٧)، ونقل كلامه الألوسي أيضاً في تفسيره: (١٤١٥هـ، ج ١٤/ص ٣٤٢) وططاوي في تفسيره عنه (١٩٩٨، ج ١٤/ص ٤٦٧): "الصحيح أن الآية في قصة العسل، لا في قصة مارية المروية في غير الصحيحين، ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح، والصواب أن شرب العسل كان عند زينب بنت جحش..".

وبناء على هذا الأساس وهو اعتماد الرواية الصحيحة، نجده يتجنب توجيه الآيات على الأقوال المبنية على نصوص لا تنهض دليلاً لاعتقادها، فلا يعتد بأخبار وآثار ضعيفة، كالتي وردت في وصف (الدابة) المذكورة في قوله تعالى: [وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ] [الغل: ٨٢] إذ يقول: "وذكرت في هذه الدابة ووقت خروجها ومكانه آثار ضعيفة الأسانيد." (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٦٣٢).

وقد اختلف المفسرون في هذه الدابة، وذكروا أخباراً وآثاراً أكثرها موقوفة على بعض الصحابة أو التابعين، فمنهم من اختار بعض الروايات التي هي أقوى وأقرب إلى السياق —باجتهاده— ومنهم من اكتفى بالسرد دون الترجيح، فقد ساق القرطبي في تفسيره (١٩٦٤، ج ١٣/ص ٢٣٤)، وابن كثير في تفسيره (١٩٩٩، ج ٦/ص ٢١١) تلك الروايات، مبينين (أن الصحيح الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن خروج الدابة من أشراف الساعة العشر التي أخبر عنها). أي أن هذا القدر هو الثابت.

ولما لم تكن تلك الروايات بحيث يطمئن إليها النفس، أعرض عنها جمع من المفسرين ومنهم من صرح بأنه لا طائل من ورائها، فقد ذكر أبو حيان (ت/٧٤٥هـ) في تفسيره (١٤٢٠هـ، ج ٨/ص ٢٦٨-٢٦٩) أنهم: "اختلفوا- في ماهيتها وشكلها ومحل خروجها وعدد خروجها ومقدار ما يخرج منها وما تفعل بالناس وما الذي تخرج به- اختلافا مضطربا معارضا بعضه بعضا فاطرحنا ذكره، لأن نقله تسويد للورق بما لا يصح وتضييع لزمان نقله"، وبعد أن نقل الألوسي (ت/١٢٧٠هـ) في تفسيره (١٤١٥هـ، ج ١٠/ص ٢٣٤) كلامه هذا أيده قائلاً: "وهو كلام حق، وأنا إنما نقلت بعض ذلك، دفعا لشهوة من يجب الاطلاع على شيء من أخبارها صدقا كان أو كذبا".

هـ-ينبه على ما يتبادر من الآيات القرآنية من معان هي غير مرادة باجتهاده، ومن ثم يذكر ما هو المقصود منها، مؤكداً ما يقوله—أحياناً— بنصوص أخرى، ففي قوله تعالى: [فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ] [محمد: ٢٢] فيقول: "ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى [توليتم] في الآية أصبحت ولاة وحكاماً، وما كان الله ليذكر للمنافقين ذلك، وقد لعنهم في الآية التالية، إنما معنى (إن توليتم) هنا معناها في آية سورة البقرة [فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ] أي انصرفوا فالمعنى (فهل يتوقع منكم أيها المنافقون إن انصرفتم عن الحرب مع المؤمنين إلا [أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ] فتخونوا المسلمين [وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ] أي صلاتكم بها، لأنه كان بين المسلمين نفر من أرحامهم وأقاربهم" (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٨٤٧).

وذكر أكثر المفسرين هذين القولين ومنهم من جنح إلى ما رجحه المؤلف، ومنهم من رح القول الآخر، وعلى سبيل المثال ذكر الطبري (ت/٣١٠) في تفسيره (٢٠٠٠، ج ٢٢/ص ١٧٢) قوله: "فلعلكم إن توليتم عن تنزيل الله جل ثناؤه، وفارقت أحكام كتابه، وأدبرتم عن محمد صلى الله عليه وسلم الله عليه

وسلم وعما جاءكم به..." وساق من الروايات ما يؤيد هذا التفسير ثم أتبعه بالتفسير الآخر وصدره بعبارة البعض، إذ يقول أيضاً: "وقد تأوله بعضهم: فهل عسيتم إن توليتم أمور الناس أن تفسدوا في الأرض بمعنى الولاية".

وجعل الرازي (ت/٦٠٦) في تفسيره (١٤٢٠هـ، ج ٢٨/ص ٥٥) هذا الرأي أنسب، إذ يقول: "وقوله [إِنْ تَوَلَّيْتُمْ] فيه وجهان: أحدهما: أنه من الولاية يعني إن أخذتم الولاية وصار الناس بأمركم أفسدتم وقطعتم الأرحام، وثانيهما: هو من التولي الذي هو الإعراض، وهذا مناسب لما ذكرنا..." وينحوه قال طنطاوي (١٩٩٨، ج ١٣/ص ٢٣٨).

إلا أن القول الثاني قال به أيضاً جمع من المفسرين ولا سيما أنه مؤيد ببعض القراءات، فقد فسره الألوسي (ت/١٢٧٠) في تفسيره (١٤١٥، ج ١٣/ص ٢٢٤)، بقوله: "فهل يتوقع منكم وينتظر إن توليتم أمور الناس وتأمروهم عليهم فهو من الولاية، والمفعول به محذوف، وروي ذلك عن محمد بن كعب وأبي العالية والكلبي... وفسر بعضهم التولي بالإعراض عن الإسلام... ويؤيد الأول قراءة بعض «وَلَّيْتُمْ» مبنياً للمفعول..."، وذكر أموراً أخرى لتأييد القول الأول.

وهذا يتبين أن حمل الآية على التفسيرين لا مانع منه، وإن كان كل فريق يرى أن حملة على معنى معين أولى من غيره.

وتعميم المعنى وعدم الاختصار في اللفظ على بعض أفرادها وجزئياته:

ففي تفسير لفظة (الفجر) من قوله تعالى: [وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢)] [الفجر: ١-٢] أشار إلى أن بعض المفسرين قرر أن المقصود به يوم عرفة، وأن آخرين ذهبوا إلى أنه فجر عيد الأضحي، ثم أردف ذلك قائلاً: "الأولى أن يكون القسم بالفجر مطلقاً" (ضيف، ٢٠٠٠، ص ١٠١٤).

وفي تفسير الوالد والولد في قوله تعالى: [وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ] [البلد: ٣] يقول: "قيل: هو قسم بإبراهيم وابنه إسماعيل، وأولى من ذلك أنه قسم بأي والد وأي مولود، والله بذلك يشرف الذرية الإنسانية بقسمه بها" (ضيف، ٢٠٠٠، ص ١٠١٧).

ز-الإشادة بالدقة المتناهية في كون الكلمات القرآنية لا يمكن أن يحل غيرها محلها، ومن كلامه الجامع بهذا الصدد ما تعرض له [وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا] [النبا: ٢٨]، إذ يقول: "أي كذباً مفرطاً، ووضع الله له كلمة (كذاباً)، لتدل على شدته، وفي القرآن كلمات كثيرة للدلالة على معان دقيقة مثل: أصل كلمة قرآن نفسها بمعنى قراءة، ومثل أساء يوم القيامة: الساعة والواقعة والصاخة والطامة والآزمة والحاقة، ومثل كلمة ضيزى في قوله تعالى في سورة النجم عن جعل العرب له البنات ولهم البنين [تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى] [النجم: ٢٢]، أي جائرة، ولا توجد كلمة تؤدي ما تؤديه من شدة الجور والظلم" (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٩٩٠-٩٩١).

-وتبه -مستعيناً بما ذكره ابن عاشور (ت/١٣٩٣هـ) إلى النكتة في تعبير القرآن وتلقيبه لكبير مصر ورئيسها تارة بـ (فرعون) وتارة أخرى بـ (الملك)، كما في قصة يوسف عليه السلام، ففي قوله تعالى: [وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ] [يوسف: ٤٣] يقول: "الملك أي: ملك مصر، وتنبه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسير القرآن: (التحرير والتنوير) إلى أن القرآن عبّر عن ملك مصر مع موسى باسم فرعون وهو لقب ملوك مصر، وعبّر بالملك هنا، لأنه كان من ملوك الهكسوس الرعاة، ولم يكن فرعوناً مصرياً، ويقول الشيخ: إن هذه التفرقة من دقائق الإعجاز العلمي للقرآن، وهي معجزة تاريخية علمية قرآنية، وقد عبّرت التوراة عن ملك مصر في عهد يوسف باسم فرعون مراراً في الإصحاحين الأربعين والحادي والأربعين من سفر التكوين، وهو تحريف واضح في القصة، صححه القرآن الكريم هذا التصحيح الرائع" (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٣٩٦، وينظر: ابن عاشور، ١٩٨٤، ج ١٢/ص ٢٨٠).

ح- كما أنه يشيد في تفسيره بأهمية العلم وضرورة الالتفاف حوله في شتى المجالات، وأن القرآن الكريم أولى هذه القضية عناية فائقة، فنراه يستنبط من الآيات القرآنية ما يكون فيها تلميح وإشادة بفضل العلم والعلماء وما ينبغي أن تكون عليه الأمة من الوحدة والاستزادة من العلم والاكتفاء الذاتي في كل مجال الحياة، ففي قوله تعالى: [إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ] [البقرة: ١٦٤] ... يقول: "وفي هذه الآية الكونية وأمثالها المكررة في القرآن عشرات المرات يدعو الله الناس بها إلى النظر العميق في الكون لاستنباط سننه ونواميسه، وللإيمان بألوهيته ووحدانيته عن تدبر عقلي وعلمي، مما جعل العقل والعلم أساسين راسخين في الإسلام". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٣، و ٥٠).

وفي قوله تعالى: [فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ] [التوبة: ١٢٢]، يقول: "جعل الله التفقه في الدين ضرباً من الجهاد بجانب ما حصّ عليه من جهاد الكافرين والمشركين، وفي ذلك ما يشير إلى أن حظّ الفقيه المعلم كحظ المجاهد في سبيل الله، وكما أن الغازي يحاول نشر الإسلام فكذلك الفقيه يحاول إرشاد قومه وإنذارهم بما يصيب العاصين من عذاب الله". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٣٤١).

ط- يؤكد في تفسيره في أكثر من موقف أن الإسلام هو الدين العالمي الذي أكمله الله تعالى وجعله صالحاً لكل زمان ومكان، وأنه الدين الذي ختم به الرسالات ونسخت الشرائع السابقة،

فمن ذلك ما ذكره في قوله تعالى: [مَا تَنَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] [البقرة: ١٠٦] فيقول: "النسخ في اللغة إزالة الشيء وتبديله بشيء آخر، وذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بالنسخ في الآية النسخ في الآيات القرآنية، إذ يرفع الحكم الشرعي في آية بحكم شرعي في آية تالية، وقلت: إن النسخ في الآية عام، أي أنه يشمل النسخ في الآيات القرآنية بعضها لبعض، كما يشمل نسخ آيات القرآن لآيات التوراة والإنجيل وأحكامها، وتشهد لذلك آية سورة الأعراف رقم ١٥٧، وما تذكر من أن الإسلام يضع عن يمين من اليهود والنصارى [إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ] [الأعراف: ١٥٧] أي الأوامر والنواهي الشاقة في ديانتها، وبالمثل آيتا سورة الرعد رقم ٣٨ و ٣٩ [لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ] (٣٨) أي لكل زمن شريعة [يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ] في الكتب السماوية بنسخه لبعض أحكامها [وَيُثَبِّتُ] بدلاً منها ما يرى فيه المصلحة لعباده". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٣٤).

وذكر أيضاً في قوله تعالى في الآية التي وصى فيها إبراهيم الخليل بنيه وحفيده يعقوب: [يَأْتِيَنَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ] (١٣٢) [البقرة: ١٣٢]، أن: "القرآن في هذه الآية وما قبلها من الآيات يجعل الإسلام دين إبراهيم وذريته من الرسل، وفي آيات أخرى بسور القرآن يشهد نوح ورسل متعددون بأنهم هم وأتباعهم من المسلمين، وقلت: وفي ذلك دلالة واضحة على أن الإسلام هو الدين العالمي الذي اختاره للبشر والناس أجمعين" (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٢).

المبحث الثاني

وقفات مع تفسيرات فيها نوع من الغرابة، أو فيها نظر

على الرغم من أن الدكتور شوقي يسير في تفسيره للآيات على المعاني المتعارفة، والتفاسير المتداولة المشهورة للآيات، كما لاحظناه في المبحث السابق- إلا أننا نراه يورد إلى جانب ذلك معاني وتفسيرات قد تكون غريبة أو غير مشهورة مما لم نقف على مصدرها أو لم يقل بها إلا طائفة قليلة من المفسرين، بيد أنه لا يلزم أن تكون تلك التفسيرات كلها مردودة مرفوضة، بل منها ما هو مقبول جميل ودقيق ولا سيما إذا كان هناك ما يؤيده من اللغة أو السياق ونحوها.

كما نقف في تفسيره على بعض التأويلات التي هي محل نظر وتوقف، ولا سيما ما كان في مجال الغيبيات و العقيدة أو ما يذكر في كتبها وإن لم يكن من صميمها، وسنسلط الضوء على هاتين القضيتين في المطلبين الآتيين، وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول

تفسير الآيات بمعان غريبة أو غير مشهورة:

نقف في تفسير الدكتور شوقي على تفسير بعض الآيات بمعان قد تبدو غريبة أو غير مشهورة عند الكثيرين، وإن كانت صحيحة ودقيقة، إلا أن قلة قليلة منها قد تكون بعيدة عن المقصود، من ذلك:

١- الخطاب في (المرك):

جَلَّ المفسرين على أن الخطاب في قوله تعالى: [لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ] [الحجر: ٧٢] لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الله تعالى أقسم بحياته تعظيماً لشأنه وتنبهياً لقدره، وقد ساق الدكتور شوقي أيضاً هذا القول، إلا أن ذلك لم يمنعه أن يشير إلى أنه لا يبعد أن يكون الخطاب لسيدنا لوط عليه السلام الذي يدور الكلام في الآيات السابقة على تلك الآية واللاحقة لها على قصته مع قومه ومع الملائكة، إذ يقول: "وأقسم الله بحياة النبي قاتلاً: [لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ] [الحجر: ٧٢] ويمكن أن يكون القسم من الملائكة للوط". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٤٣٨)، والقول الأول هو قول جمهور المفسرين (ينظر: الطبري، ٢٠٠٠، ج ١٧/ص ١٨، والسيوطي، د. ت، ج ٥/ص ٩٠، والآلوسي، ١٤١٥هـ، ج ٧/ص ٣٣٠، وأبو زهرة، د. ت، ج ٨/ص ٤١٠، وطنطاوي، ١٩٩٨، ج ٨/ص ٦٦)، وما جعله شوقي ممكناً، قدّمه بعض المفسرين، كالزحاشي (ت ٥٣٨هـ) في تفسيره (١٤٠٧هـ، ج ٢/ص ٥٤٧) الذي ذهب إلى أن الخطاب للوط عليه السلام، وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

٢- ما أورده في (وردة) من قوله تعالى: [فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ] [الرحمن: ٣٧]، إذ فسرها أولاً بمعناها المعروف من كون المراد بها الزهرة المعروفة، ثم أردفها معنى ثان اعتمد فيه على القواعد اللغوية (الصرفية)، وهو أن (وردة) (مصدر المرة) من الفعل (ورد) إذ يقول: "[فكانت وردة] أي كالوردة، وقيل: بل وردة من الورود كسجدة من السجود، أي انشقت دفعة واحدة" (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٨٩٠). وبحث في كتب التفسير القديمة والحديثة -المتوفرة عندي- فلم أف على هذا التوجيه الذي ذكره الدكتور شوقي، وعلى هذا يمكن أن يعد ما ذكره معنى جديداً يضاف إلى تفسير الآية، ولا سيما أنه أيد ما ذهب إليه باللغة، ومثّل له -إلا أن التشبيه المحتتم به الآية قد يريح كفة ميزان القول الأول، والله أعلم-.

٣- ومن ذلك أيضاً ما ذكره في (سكرًا) من قوله تعالى: [وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا] [النحل: ٦٧]، فهذا اللفظ له معنى معروف، وهو ما يخامر العقل ويغويه، إلا أنه أشار أولاً إلى معنى قد يبدو غريباً هنا وإن كان تحتمله اللغة، إذ قال فيه: "[سَكَرًا] قيل: أي طعاماً حلواً، وقيل: أي خمرًا من العنب والتمر، ونزلت الآية قبل تحريم الخمر، والقول الأول أولى" (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٤٥٣).

والقول الأول الذي جعله أولى وهو تفسير [سكرًا] بالطعام الحلو، وهو قول قد يبدو غريباً، إلا أن تفسيره بـ(الخمر) وإن كان أشهر منه، إلا أنه ليس مقطوعاً به أيضاً، بل في تفسير هذه الآية أقوال أخرى قد يكون بعضها أقرب إلى المقصود من الآية التي سيقّت في معرض الامتنان على العباد، وأبعد من القول بكونها منسوخاً، وما قيل أيضاً: إن السكر: الخل بلغة الحبشة. وقيل السكر: العصير الحلو الحلال، وسمى سكرًا، لأنه قد يصير مسكرًا إذا بقي، ومنهم

من فشره بـ (طعاماً) أو بما يسد الجوع، من سكرت النهر أي سدده، كما أنَّ منهم من فسره بـ (كل ما حلّ شرهه) و [رزقاً طيباً] بما حلّ أكله، وفيه أقوال أخرى.

والعلماء الذين ذهبوا إلى تفسير (سكراً) بـ (خمرأ) ذكروا أن هذه الآية مكية، وهي من أوائل ما نزل في الخمر أي قبل تحريمها، وأنها منسوخة بآية المائدة. (ينظر: الطبري، ٢٠٠٠، ج ١٧/ص ٢٤١ وما بعدها، والحاظن، ١٤١٥هـ، ج ٨٥/٣، وطنطاوي، ١٩٩٨هـ، ج ٨/ص ١٨٦).

٤- ومن ذلك أيضاً ما أشار إليه في تفسير [وَفَزَعُونَ ذِي الْأُوتَادِ] [الفجر: (١٠)] فقد أشار إلى أنها: "الأهرام، في رأي الشيخ الجليل محمد عبده في تفسيره لجزء عمّ، لأن منظر الأهرام في عين مبصرها منظر الوند الضخم المغروز في الأرض، وهي معجزة قرآنية إذ يسمى فرعون صاحب الأوتاد، أو صاحب الأهرامات". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ١٠١٤).

وهذا القول الذي نسبته لمحمد عبده (ت/١٣٢٣هـ) وهو مذكور في تفسيره (ينظر: محمد عبده: ١٣١٤هـ، ص ٧٩٠-٨٠). قد ذكره أيضاً جماعة من المفسرين المعاصرين وجنحوا إليه كالشيخ المراغي (ت/١٣٧١هـ) في تفسيره له بقوله: "أي وفرعون ذى المباني العظيمة التي شادها هو ومن قبله من فراعنة مصر في قديم الأزمان كالأهرام وغيرها وما أجمل التعبير عما تركه المصريون من الأبنية الباقية بالأوتاد، فإن شكل هياكلهم العظيمة شكل الأوتاد المقلوبة، إذ ينتدئ البناء عريضا وينتهي بأدق مما بدأ" (المراغي، ١٩٤٦، ج ٣٠/ص ١٤٤، وينحوه قال الخطيب (ت/بعد ١٣٩٠هـ) في تفسيره (د. ت، ج ١٦/ص ١٥٥٣، والشعراوي (ت/١٤١٨هـ) في تفسيره ١٩٩٧، ج ٥/ص ٣٠٤٥).

وذكر أيضاً بأن وصف فرعون بذى الأوتاد، لأن مملكته كانت تحتوى على الأهرامات، التي بناها أسلافه، لأن صورة الهرم على الأرض تشبه الوند المدقوق، ويجوز أن يكون المراد بالأوتاد: التمكن والثبات على سبيل الاستعارة، أى: ذي القوة.. (ينظر: ابن عاشور، ١٩٨٤، ج ٣٠/ص ٣٢١، وطنطاوي، ١٩٩٨، ج ١٥/ص ٣٨٧).

وينحوه قال سيد قطب (ت/١٣٨٧هـ) في تفسيره (١٤١٢هـ، ج ٦/ص ٣٩٠٤): "[وَفَزَعُونَ ذِي الْأُوتَادِ] وهي على الأرجح الأهرامات، التي تشبه الأوتاد الثابتة في الأرض المتينة البنيان، وفرعون المشار إليه هنا، هو فرعون الطاغية الجبار، الذي أرسل الله - تعالى - إليه موسى - عليه السلام -". وهذا التفسير من التفاسير المحتملة المظنونة التي يستأنس بها إلا أنه لا يمكن الجزم بها، لأن الأهرامات من العجائب التي لا تزال لغزاً، لم يكشف عن حقيقتها على وجه التحديد: من بناها؟ وكيف بنيت؟ ومتى تم ذلك؟ فضلاً عن خفاياها وخباياها.

٥- العجل الذي اتخذته بني إسرائيل، وأشرب به قلوبهم:

من التفاسير التي انفرد بها الدكتور شوقي - كما يبدو -، ما تطرق إليه في تفسير قوله تعالى - في تعداد نعم الله تعالى على بني إسرائيل -: [وَإِذْ وَاعَدْنَا موسى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ] [البقرة: ٥١] يقول: "وهي نعمة الله عليهم، إذ عبدوا العجل من بعد ذهاب موسى لميقات ربه، ونظّل أنهم عادوا إلى عبادة عجل أيس معبود المصريين حينئذ... وعفا الله عنهم وغفر لهم هذه العبادة الوثنية". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ١٩).

وهذا الذي ذكره الدكتور شوقي محتمل، ولا يبعد أن يكون صحيحاً، فالإنسان ابن بئيته، يتأثر أكثر مما يؤثر ولا سيما أن المغلوب مولع بتقليد الغالب - كما قيل -، وليس ببعيد أن اليهود تأثروا في مصر - بعد ضعف نفوذهم - بعبادات وطقوس الأمم التي خالطوهم، ومنها معبودات المصريين القدماء كـ (أيس). (ينظر: ول ديورانت، ١٩٨٨، ج ٤١/ص ١٥١، وصالح، د. ت، ص ٢٨٠، وعصفور، ١٩٨٧، ص ٧٥).

٦- المقصود بالطاغوت:

ذكر الدكتور شوقي معنى أشمل وأوسع لـ (الطاغوت) مما ذكره المفسرون، مستنتجاً في ضوءها ما دأبت عليه العرب من استيلاء سلطان الطاغوت عليهم، في مثل قوله تعالى: [فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى] (البقرة: ٢٥٦) وقوله تعالى: [وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ] (البقرة: ٢٥٧)، فيقول: "ذهب جمهور المفسرين إلى أن معنى الطاغوت في الآية الأولى الأنداد والأصنام، أو الشيطان ومعناه في الآية الثانية الشياطين، وقلت: إن معناه في الآيتين عبادة الآلهة والأصنام وكل ما ارتبط بهذه العبادة من سدة وشعائر وعقائد، وبذلك يتضح مدى سلطان الطاغوت على العرب، إذ هو دينهم الوثني وسدنته وعقيدته وكل ما يتصل بشعائره". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٣، و ٨١). وهناك نماذج أخرى كثيرة من نظائر ما ذكرناه، اكتفينا بما سبق، بغية الاختصار، إذ إن حدود هذا البحث لا يمكن فيه الاستقصاء.

المطلب الثاني

وقفات مع تفسيرات هي محل نظر:

وقف الدكتور شوقي على آيات معدودة من القرآن الكريم -ولا سيما ما يتعلق بالعقيدة والغيبيات ونحوها-، وأخذ يفسرها ويؤولها تأويلاً مفادها أن ظواهر تلك الآيات غير مرادة، بل خرجت مخرج التمثيل والتشبيه، كما وقف عند تعرضها لبعض المسائل والقضايا التي تذكر في تفسير بعض الآيات موقف الرفض والرد، والأغلب أنه يصدرها بنحو (قيل).

١- المقصود بالكرسي والعرش:

من تلك المسائل التي هي محل نظر تفسيره للكرسي والعرش، اللذين ورد ذكرهما في القرآن الكريم والسنة النبوية، في معرض إحاطة علم الله تعالى بخلقه، وأنه رب العرش العظيم واستوى عليه، وهما من الغيبيات التي لا يمكن للعقل البشري إدراك كنهها، مما جعل العلماء يختلفون في المراد منها، وإن كانوا يتفقون في المعاني اللازمة التي تؤخذ منها.

فالكرسي شرف بإضافته إلى الله سبحانه في قوله تعالى: [وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ] (البقرة: ٢٥٥)، وقال الدكتور شوقي ضيف في تفسيره: "قيل المراد بالكرسي العرش، وقيل العلم، وقلت هو سلطان الله في السموات والأرض، وهو تصوير لعظمة الله وقدرته وسيطرته على الكون". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٣، و ٨٠).

وقال الراغب الأصفهاني (ت/٥٠٢) في مفرداته: (١٤١٢هـ، ص ٧٠٦): "الكرسي في تعارف العامة: اسم للشيء الذي يقعد عليه، وهو في الأصل منسوب إلى الكرسي أي الشيء المجتمع، ومنه الكراسية، للمتكرس من الأوراق".

وللعلماء اتجاهان مشهوران في تفسير معنى الكرسي في الجملة الكريمة. فالأول هو: (أن الله -تعالى- كرسيه، علينا أن نؤمن بوجوده وإن كنا لا نعرف حقيقته، لأن ذلك ليس في مقدور البشر)، وقد اشتهر بأن هذا هو مذهب السلف.

والأول الثاني هو: (أن الكرسي في الآية كناية عن عظم السلطان، ونفوذ القدرة، وسعة العلم، وكال الإحاطة)، وقد اشتهر بأن هذا مذهب الخلف، إلا أن هذا ورد عن بعض السلف أيضاً، فقد ورد عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، أنه قال: "كرسيه علمه، ألا ترى إلى قوله: [وَلَا يُؤْودُهُ حِفْظُهُمَا] (هذا الأثر ذكره الطبري في تفسيره الطبري، ٢٠٠٠، ج ٥/ ص ٤٠١، والبيهقي في الأسماء والصفات، (١٩٩٣، ج ١/ ص ٣٠٨)، والسيوطي، في الدر المنثور (د. ت، ج ١٦/٢) وقد روي الأثر مرفوعاً أيضاً إلا أن ابن حجر (ت/٨٥٢هـ) قال في فتح الباري (١٣٧٩هـ، ١٩٩٢/٢): "والموقوف أشبهه". (وينظر

-في تفاصيل ما قيل في الكرسي:- الطبري، ٢٠٠٠، ج ٥/ ص ٤٠١-٤٠٢، وابن كثير، ١٩٩٩: (١/٦٨٠-٦٨١)، وطباطبائي، ١٩٩٨، ج ١/ص ٥٨٦).

إلا أن الصحيح الثابت عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، أنه قال: "الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى". (وهذا الأثر أخرجه الحاكم (في المستدرک، ٢٠٠٢، ج ٢/ص ٣١٠ برقم ٢٣٥/٣١١٦) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وأورده الذهبي في مختصر العلو (١٩٩١، ص ١٠٢)، وقال رواه ثقات، وقال الألباني-في تحقيقه:- صحيح موقوف. وقال ابن حجر في فتح الباري (١٣٧٩هـ، ج ٨/ص ١٦٠): "وقال ابن جبير: كرسيه علمه: وصله سفيان الثوري في تفسيره في رواية أبي حذيفة عنه بإسناد صحيح، وأخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم من وجه آخر عن سعيد بن أبي جبير فزاد فيه (عن ابن عباس)، وأخرجه العقيلي من وجه آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ، وهو عند الطبراني في كتاب السنة من هذا الوجه مرفوعاً، وكذا رويناه في فوائد أبي الحسن علي بن عمر الحرابي مرفوعاً، والموقوف أشبهه، وقال العقيلي: إن رفعه خطأ، ثم هذا التفسير غريب، وقد روى ابن أبي حاتم من وجه آخر عن ابن عباس: أن الكرسي موضع القدمين، وروى ابن المنذر بإسناد صحيح عن أبي موسى مثله، وأخرجنا عن السدي: أن الكرسي بين يدي العرش، وذلك مغاير لما قبله، والله أعلم". والكرسي من الأمور الغيبية التي لا تعرف إلا عن طريق الوحي، ولا مجال للعقل في ذلك. ينظر: اللالكائي، ١٤١٨هـ، ج ٣/ص ٤٤٩، ٥٨١).

ومنها من قال: إن الكرسي هو العرش، والصحيح أن الكرسي غير العرش، والعرش أكبر منه (ينظر: ابن كثير، ١٩٩٩: ١/٥٢١). وقد تطرق الطحاوي (ت/٧٩٢هـ) إلى هذه المسألة بقوله: "وقوله: (والعرش والكرسي حق). (الطحاوية-بشرح ابن أبي العز-١٩٩٧، ج ٢/ص ٣٦٤). وقال اللقاني (ت/١٠٤١هـ) في جوهرة التوحيد (٢٠٠م، ج ٢/ص ١٠٩٩) بصدد ذلك:

"والعرش والكرسي ثم القلم والكاتبون اللوح كل حكم"

لا لاحتياج وبها الإيمان يجب عليك أيها الإنسان".

ولخص الزمخشري (ت/٥٣٨هـ) في تفسيره (١٤٠٧هـ، ج ١/ص ٣٠١) أقوال العلماء في ذلك، فقد قال- رحمه الله:- "وفي قوله: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ أَرْبَعَةَ أَوَاجِه: أحدها: أن كرسيه لم يطق عن السماوات والأرض لبطنته وسعته وما هو إلا تصوير لعظمته ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد. والثاني: وسع علمه، وسمى العلم كرسيًا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم. والثالث: وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك.

والرابع: ما روى أنه خلق كرسيًا هو بين يدي العرش دونه السماوات والأرض وهو إلى العرش كأصغر شيء. وعن الحسن الكرسي هو العرش". ولما كان هذا القول في تفسير الكرسي له مستند ما من السلف جعل الطبري (ت/٣١٠هـ) في تفسيره (٢٠٠٠، ج ٥/٤٠١): الكرسي أصلًا في العلم -إلا أن بعض المعلقين على تفسيره استغروه-، كما مال إلى تفسير الكرسي بالعلم بعض المفسرين كالذكرور شوقي وغيره كطباطبائي (ت/١٤٣١هـ) القائل: "لعل تفسير الكرسي بالعلم كما قال حبر الأمة هو أقرب الأقوال إلى الصواب، لأنه هو المناسب لسياق الآية الكريمة". (طباطبائي، ١٩٩٨، ج ١/ص ٥٨٦). ومن هذا القبيل أيضاً ما ذكره الذكرور شوقي في المقصود ب (العرش) من نحو قوله تعالى: [ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ] [الأعراف: ٥٤]، ((يعني اعتلاه، وهو تمثيل لسيطرته على الكون وتدييره) (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٢٦٧ وينحوه في ص ٣٦٧، و٧٧٧). وقد أكد على ذلك في أكثر الآيات التي تحتوي على لفظة (العرش).

والمعنى الذي ذكره رحمه الله للكرسي وكذلك للعرش، من لوازم تفسير الآيتين ومن آثارها، وكل منها وإن كان صحيحاً في حد ذاته، إلا أنه لا داعي لتأويل الكرسي والعرش بذلك، وكان الأولى به-بل واللازم- أن يُتقي مثل هذه الأمور على ظاهرها، وأن يذكر -بعد ذلك تلك المعاني التي تؤخذ منها، التي تنبئ عن عظمة الله تعالى وسعة علمه ورحمته وقدرته على كل شيء، وغناه عنه. (والله أعلم).

٢- الصور الذي ينفخ فيه:

ورد في القرآن الكريم (النفخ في الصور)-كأمانة من أمارات يوم القيامة- في عشرة مواضع، أربعة منها بصيغة المضارع (ينفخ في الصور) وستة منها بصيغة الماضي (ونفخ في الصور)، والمعنى المعروف والمشهور له هو: أن المراد «بالصور» القرن الذي ينفخ فيه الملك نفخة الصعق والموت، كما ينفخ فيه نفخة البعث والنشور والله أعلم بحقيقته (طنطاوي، ١٩٩٨، ج ٥/ص ١٠٦). ومن العلماء من ذكر أن (الصور) جمع أو اسم جمع للفظ (الصور)، أي ينفخ في صور الأجسام، قال ابن كثير (ت/٧٧٤هـ): "اختلف المفسرون في قوله [يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ] فقال بعضهم: المراد بالصور هنا، جمع صورة، أي يوم ينفخ فيها فتجياً. قال ابن جرير: كما يقال: سُورٌ لِسُورِ البلد، وهو جمع سُورَةٍ، والصحيح أنَّ المراد بالصور القُرُونُ الذي ينفخ فيه إسرَافيل عليه السلام" ثم نقل عن ابن جرير الطبري أن الصواب ما تظاهرت به الأخبار، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال «إِنَّ إِسْرَافِيلَ قَدْ نَفَخَ فِي الصُّورِ، وَحَتَّى جِبْتُهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤَمَّرُ فَيَنْفُخُ». ثم ساق ابن كثير أحاديث تؤيد ذلك. (ينظر: ابن كثير، ١٩٩٩، ج ٢٨١/٣، ويقارن بـ الطبري، ٢٠٠٠، ج ١١/ص ٤٦٣، والحديث رواه الترمذي في سننه ١٩٧٥، ج ٤/٦٢٠، في باب "ما جاء في الصور"، و(ج ٣٧٣/٥) في أول تفسير سورة الزمر).

وساق ابن حجر (ت/٨٥٢هـ) القولين (١٣٧٩هـ، ٢٨٩/٨): وقال: "والثابت في الحديث أنَّ الصُّورَ قُرُونٌ ينفخ فيه وهو واحد لا اسم جمع". وأما الدكتور شوقي ضيف فقد مال إلى القول غير المشهور في ذلك، وأكد عليه في غير موضع، ومن كلامه بهذا الصدد ما أورده في تفسيره لقوله تعالى: [وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ] [الأنعام: ٧٣] بقوله: "قيل: الصور البوق، ينفخ فيه إسرَافيل يوم البعث، وأولى من ذلك ما ذهب إليه بعض المفسرين من أن لفظ (الصور) في الآية اسم جنس جمعي لصورة، مثل سوس جمع سوسة، وتشهد لذلك قراءة الحسن البصري للصُّور بفتح الواو، أي يوم ينفخ في صور البشر فيبعثون". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٢٣٣)، وهذا القول الأخير أشار إليه صاحب المنار وضعفه (ينظر: رشيد رضا، ١٩٩٠، ج ٧/ص ٤٤٣).

وهذه المسألة في الحقيقة ليست من صميم العقيدة، فالواجب هو الإيمان بحصول النفخ في الصور، سواء كان النفخ في الصور أي القرن -الذي هو بوق لا يعلم كنهه إلا الله تعالى-، أو كان في صور الأجسام، وإن كان الأولى القول الأول المستلزم للقول الثاني، وذلك لورود بعض النصوص المؤيدة للمعنى الأول- والله أعلم.

٣- مسخ اليهود المعتدين في السبت إلى قردة مسخا معنويا!

كذلك وجدنا الدكتور شوقي يفسر بعض آيات العقوبة التي درج معظم المفسرين على تفسيرها بظاهرها، على تفسيرها بالتمثيل والتشبيه، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: [وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ] [البقرة: ٦٥] فيقول: "ولقد علمتم أيها اليهود ما حلّ بقرية أيلة التي عصت ما أمر الله به من الإقلاع عن الصيد يوم السبت، فاستحال الصائدون قردة، أي على الاستعارة، إذ استحال عقولهم كعقول القردة". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٢٣).

وجمهور المفسرين على أنهم مسحوا على الحقيقة وأنهم صاروا قردة، ثم ماتوا بعد ذلك بوقت قصير، وكل شيء مُسحَ لم يأكل ولم يشرب حتى مات (ينظر: الكرماني، د.ت، ج ١/١٤٥، وطنطاوي، ١٩٩٨، ج ١/ص ١٦١).

وذهب بعض العلماء إلى أنهم لم تمسح صورهم ولكن مسحت قلوبهم، وهو من غرائب التفسير، إلا أنه مأثور عن التابعي الجليل مجاهد (ت/١٠٤)، إذ قال -كما في تفسيره-: "لَمْ يُمَسَّحُوا قُرْدَةً وَكَتَنَهُ كَقَوْلِهِ [كَمَثَلِ الْجَارِ يَحْمِلُ أَشْفَارًا] [الجمعة: ٥]" (مجاهد، ١٩٨٩، ص ٢٠٥). وروى الطبري وابن أبي حاتم عن مجاهد أنه قال: "ما مُسِخَتْ صورهم وَلَكِنْ مُسِخَتْ قُلُوبُهُمْ، فَمَثَلُوا بِالْقُرْدَةِ كَمَا مَثَلُوا بِالْحَمَارِ، وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُهُ - تَعَالَى -: [وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقُرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَغَبَدَ الطَّاغُوتِ] [المائدة: ٦٠] (ينظر: الطبري، ٢٠٠٠، ج ٢/ص ١٧٣، والسيوطي، د.ت: ١٨٥/١).

أي: إنهم مسحوا مسحاً نفسياً فصاروا كالقردة في شرورها وإفسادها لما تصل إليه أيديها. (ينظر: طنطاوي، ١٩٩٨، ج ١/١٦١). وعلى الرغم من غرابة هذا القول إلا أن كثيراً من المفسرين أشاروا إليه لكونه مأثوراً عن التابعي الجليل مجاهد، ومن المفسرين من اقتصر على هذا القول أو مال إليه ولا سيما المعاصرين منهم كمحمد عبده ومحمد رشيد رضا -كما أشار إليه في تفسيره المنار (١٩٩٠، ج ١/ص ٢٨٥)، وعبد الكريم الخطيب (ت/بعد ١٣٩٠هـ) في التفسير القرآني للقرآن (د.ت، ج ٥/ص ٥٠٨)، والمرآغي (ت/١٣٧١هـ) في تفسيره (١٩٤٦، ج ١/ص ١٣٩)، محتجين بأن سنة الله المشاهدة في خلقه أن الله لا يمسخ كل عاص فيخرجه عن نوع الإنسان، بل ينزله عن مرتبة الإنسان ويلحقه بعبادات الحيوان.

والقول الأول الذي قال به الجمهور هو الأول بالقبول والركون إليه، إذ إنه إعمال لظاهر الآية من غير وجود مانع من إجرائها على حقيقتها، كما أنه متضمن للقول الثاني من تحول طبائعهم إلى طبائع الحيوانات، وفي تحويل صورتهم وهيئتهم بعد ذلك إلى صور بعض الحيوانات المنبؤة من الشناعة والفوضى ما لا يخفى، إذ التنصيص على جعلهم قردة أو قردة وخنازير وتخصيصهم بهذا العذاب ينطوي على العقوبة المخزية التي آل إليها مصير هذه الفئة التي بغت واعتدت على محارم الله تعالى، واحتالوا على حمى الله تعالى، على الرغم من رؤيتهم ومعاينتهم لآيات الله البينات بأعينهم، من إنجائهم من فرعون وجنوده، وإنزال الطيبات عليهم، وإعطائهم سُؤلهم، على الرغم من كل ذلك لجؤا في طغيانهم وقنادوا في غيهم، فلا مانع من اختصاصهم بنوع من العذاب لم يعذب به أحد من العالمين والله أعلم.

ولرجاحة قول الجمهور وقوته قال الطبري في تفسيره (٢٠٠٠، ج ٢/ص ١٧٣): "وهذا القول الذي قاله مجاهد، قولٌ لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالفٌ".

٤- مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للجن:

من القضايا التي أثارها الدكتور شوقي ضيف في تفسيره، مسألة عدم رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للجن، إذ قُتر أنه لم يرههم معانية، وأنه لم يعلم بأنهم كانوا يستمعون إليه صلى الله عليه وسلم، وإنما أخبره الله تعالى بذلك، وقد تطرق إلى ذلك في مطلع سورة الجن، إذ قال: "واضح مما هنا عن الجن، وفي سورة الأحقاف أنهم مروا برسول الله وهو يتلو القرآن في صلاته، فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر، والله هو الذي أنبأهم باستماعهم كما هنا وفي الأحقاف، وما يروى عن الرسول في أحاديث ضعيفة من أنه رآهم وحديثهم غير صحيح". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٩٦٨).

ولعل الذي قصده الدكتور شوقي هو ما يتعلق بهاتين القصتين التي أخبر عنها القرآن في سورتي الأحقاف والجن من انصراف الجن إلى النبي صلى الله عليه وسلم واستماعهم للقرآن، وهذا لا يمنع من وقوع مجيء الجن إلى النبي صلى الله عليه وسلم واستماعهم له في وقائع ومناسبات أخرى.

والذين قرروا أنه صلى الله عليه وسلم لم يلتق بالجن ولم يعلم بهم، استندوا إلى قول صحيح لابن عباس رضي الله عنه، إخراج الترمذي (ت/٢٧٩هـ) في سننه (١٩٧٥، ج ٥/ص ٤٢٦ - رقم الحديث ٣٣٢٣) وقال حديث حسن صحيح، وغيره عن ابن عباس قال: "ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم".

إلا أن العلماء يبنون حديث ابن عباس هذا، وأن معناه أنه لم يقصدهم بالقراءة، وعلى هذا فلم يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم باستماعهم ولا كلمهم، وإنما أعلمه الله تعالى بقوله: [قل أوجي إلي أنه استمع نفر من الجن] [الجن: ١] (ينظر: القرطبي، ١٩٦٤، ج ١٦/ص ٢١٦، والشلبلي الدمشقي، د. ت، ص ٦٩).

وهذا الحديث عن ابن عباس في واقعة بعينها، فاختلف العلماء في ذلك، ولذا قال ابن عاشور (ت/١٣٩٣هـ) في تفسيره (١٩٨٤، ج ٢٦/ص ٥٨)، في قوله تعالى: [وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ] [الأحقاف: ٢٩] "واختلف المفسرون لهذه الآية في أن الجن حضروا بعلم من النبي صلى الله عليه وسلم أو بدون علمه".

وبعد أن ساق ابن حجر (ت/٨٥٢) في فتح الباري (١٣٧٩هـ، ج ٧/ص ١٧١) الروايات التي تتحدث عن وفادة الجن، جمع ووفق بين الروايات التي تثبت ذلك وبين التي تنفيه بقوله: "وقصة استماع الجن للقرآن كان بمكة قبل الهجرة، وحديث بن عباس صريح في ذلك، فيجمع بين ما نفاه وما أثبتته غيره، يتعذر وفود الجن على النبي صلى الله عليه وسلم، فأما ما وقع في مكة فكان لاستماع القرآن والرجوع إلى قلوبهم منذرين، كم اوقع في القرآن، وأما في المدينة فللسؤال عن الأحكام".

وقال البيهقي (ت/٤٥٨هـ) في دلائل النبوة (١٤٠٥هـ، ج ٢/ص ٢٢٧) ونقل كلامه ابن حجر في فتح الباري، (١٣٧٩هـ، ج ٧/ص ١٧١): "حديث ابن عباس حكى ما وقع في أول الأمر، عندما علم الجن بحاله صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يره، ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى، فذهب معه، وقرأ عليهم القرآن كما حكاه عبد الله بن مسعود".

وحديث ابن مسعود أيضاً صحيح (أخرجه الحاكم وصححه الذهبي في المستدرک (٢٠٠٢، ج ٢/ص ٤٩٥) - الحديث رقم ٣٧٠١، والبيهقي في دلائل النبوة (١٤٠٥هـ، ج ٢/ص ٢٢٩).

وبهذا تجل أن وفادة الجن كانت أكثر من مرة حتى أوصلها بعضهم إلى ست مرات، ولتعدد الوقائع اختلفت الروايات في عدد الجن الذين حضروا وفي المكان والزمان لاستماعهم القرآن، كما اختلفوا في نتائجهم به. (ينظر: طنطاوي، ١٩٩٨، ج ٩/ص ٩٣٥).

٥- حقيقة السحر، وموقفه منه:

تطرق الدكتور شوقي إلى اختلاف العلماء في ماهية السحر، مبيناً في ضوءها رأيه فيه، فيقول في تفسير قوله تعالى: [...وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ] [البقرة: ١٠٢]: "واختلف أسلافنا في السحر هل هو حقيقة، أو مجرد تخيل وأوهام، وأنكره المعتزلة وأبو إسحاق الأستربادي من الشافعية، وقيل: بل حقيقة لقوله تعالى: [...وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ] فلو لم تكن حقيقة لم يمكن تعلمه، ورد على ذلك بأن الله إنما يحكي اعتقادات المخاطبين عن السحر وعن الملكين: هاروت وماروت، وفي الحديث النبوي نهى شديد عنه من مثل: (من سحر فقد كفر) والسحر في حقيقته تمويه وتخييل" (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٣٣). والحديث الذي ذكره الدكتور شوقي، لم أثر عليه بعد البحث الحثيث عنه، ولعل المقصود به حكم الساحر المأخوذ من الآية والذي ذهب إليه بعض العلماء إلا أني لم أره منصوباً عليه كحديث، بل ذكر كحكم على بعض أنواع السحر. كما أن العالم الذي ذكره شوقي من الشافعية

وهو (أبو إسحاق الأسترآبادي) لعله وقع فيه خطأ مطبعي، إذ بحث كثيراً في كتب الشافعية فلم أقع على عالم بهذا الاسم بل الموجود هو (أبو جعفر الأسترآبادي)، وهذا الأخير لم ينكر السحر وإنما قال: (من أصحابنا من قال: إنه تخيل). (ينظر: الشيرازي، د.ت، ج ٣/ص ٢٦٠، والسمرقندي، د.ت، ج ١/ص ١٠٤، وابن عادل، ١٩٩٨، ج ١/ص ٣٢٢، والشنقيطي، ١٩٨٥، ج ٤/ص ٣٩).

وزاد الدكتور شوقي ما ذكره هنا من حقيقة السحر وأبان عن موقفه منه، وذلك في تفسير قوله تعالى: [وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ] [الفلق: ٤]، إذ يقول: "أخذ بعض المفسرين بظاهر هذه الآية، فقال: إن النفاثات هنّ النساء الساحرات اللائي ينفثن أو ينفخن في عقَدٍ خيط راقيات عليه من يردن إيذاءه، والسحر إنما هو تقويه بالتخيل كمن يرى السراب من بعيد فيخاله ماء، وإذا كان الله جلّ شأنه ذكره بسورة البقرة فإنه يحكى بذلك عقيدة المخاطبين، وحاول الزمخشري أن ينفي عن الآية فكرة السحر، إما بأن المراد بالنفاثات في العقد الكيادات أخذاً مما جاء في وصف النساء بقصة يوسف من قوله تعالى: [إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ] [يوسف: ٢٨]، وإما بأن المراد النساء اللائي يفتن الرجال بجالهن، وذهب الشيخ محمد عبده في تفسير الآية إلى أن المراد بالنفاثات التّامات المقطعات لروابط الأسرة، بنجتهنّ، فشبهن الله بأولئك الساحرات المشعوذات النفاثات في العقد لينقض عقدة المحبة بين المرء وزوجه". (ضيف، ٢٠٠٠، ١٠٤٧).

واختلف العلماء هل أن السحر له وجود وتأثير حقيقي، أم هو مجرد تخيل.

فذهب إلى أنه مجرد تخيل ولا حقيقة له: أبو بكر الجصاص (ت/٣٧٠هـ) من الحنفية، وبعض الشافعية، وهو مذهب المعتزلة أيضاً، فهو لا ذهبوا إلى إنكار جميع أنواع السحر، وأنه في الحقيقة تخيل على من يراه، وأنه لا يضر إلا أن يستعمل معه سُمٌّ أو دُخان يصل إلى بدن المسحور فيؤذيه، وأن الساحر لا يستطيع قلب حقائق الأشياء، فلا يمكنه قلب العَصَا حَيَّةً، ولا قلب الإنسان حاراً.

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: [فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ] [الأعراف: ١١٦] يعنى مؤهوا عليهم حتى ظنوا أن جبالهم وعصيمهم تسعى، وقال تعالى: [فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيمُهُمْ يُجَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى] [الشعراء: ٦٦]... وقد قيل: إنها كانت عصياً مَجُوقَةً مَمْلُوءَةً رَتْبًا، فأخبر الله أن ذلك كان مؤمّها على غير حقيقته . (ينظر: الجصاص، ١٤٠٥هـ، ج ١/٥٢).

وذهب جمهور أهل السنة إلى أن السحر قسبان:

قسم هوحيل وإيهام ليس له حقائق، أو له حقائق لكن لطّف مأخذها، ولو كُشِف أمرها لَعَلِم أنها أفعال معتادة يُمكن لِمَن عرف وَجْهها أن يفعل مثلاً، ومن جملتها ما ينبنى على معرفة خواص المواد والجبل ونحوها، ولا يَمْنَعُ ذلك عن أن يكون داخلاً في مُسمّى السحر.

وقسم له حقيقة وجود وتأثير في الأبدان. فقد ذهبوا إلى إثبات هذا القسم من حيث الجملة. (ينظر: الزمخشري-مع التعليقات-، ١٤٠٧هـ/ج ١/١٧٣، والقرطبي، ١٩٦٤، ج ٢/ص ٤٤ وما بعدها، ووزارة الأوقاف الكويتية، ١٤٠٤هـ-١٤٢٧هـ، ج ٢٤/ص ٢٦١-٢٦٣).

ومحل النزاع كما قال ابن حجر (ت/٨٥٢) في فتح الباري (١٣٧٩هـ، ج ١٠/ص ٢٢٢). هو: "هل يقع بالسحر انقلاب عين أو لا، فمن قال: إنّه تخيل فقط منع ذلك، ومن قال: إنّه حقيقة، اختلفوا هل له تأثير فقط؟ بَحِيثٌ يُغَيِّرُ المزاج فيكون نوعاً من الأمراض، أو يَنْتَهِي إلى الإحالة، بحيث يصير الجماد حيواناً مثلاً وعكسه، فالذي عليه الجمهور هو الأول، وذهبت طائفة قليلة إلى الثاني... ونفى بعضهم حقيقته وأضاف ما يَفُتُّ منه إلى خيالات باطلة وهومردود، لؤزود النقل بإثبات السحر، ولأن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص".

وأما أصحاب المدرسة العقلية المعاصرة، فهم أقرب إلى مدرسة الاعتزال التي ترى: بأن السحر لا يعدو أن يكون تمويهاً وتخبيلاً، ولا حقيقة له، فيقول محمد عبده (ت/١٣٢٣) - (كما في تفسير المنار، ١٩٩٠، ج ١/ص ٣٣٠): وقد وصف الله السحر في القرآن بأنه تخيل يَخْدَعُ الأعين، فِيرِيهَا ما ليس بكان كائناً فقال: [يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى] [طه: ٦٦]، والكلام في حبال السحرة وعصيمهم، وفي آية أخرى: [سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرَهُبُوهُمْ] [الأعراف: ١١٦] وفي هذه الآية التي نفسرها أنَّ السحر كان يُؤْخَذُ بالتعليم، والتاريخ يشهد بهذا، وقد كان المصريون يُطْلَقُونَ لقب الساحر على العالم، كما يؤخذ من قوله تعالى: [وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ] [الزخرف: ٤٩]، ومجموع هذه النصوص يدل على أن السحر إمّا حيلة وشعوذة، وإمّا صناعة علمية خفية يعرفها بعض الناس ويجهلها الآخرون، فَيَسْتَمُونَ العمل بها سحراً، لِحَفَاءِ سببه ولُطْفِ مَأْخِذه، ويمكن أن يُعَدَّ منه تَأْثِيرُ النفس الإنسانية في نفس أخرى لمثل هذه العلة".

والصحيح كما قال ابن حجر (ت/٨٥٢هـ) - في فتح الباري ٢٧٤/١٠ نقلاً عن الإمام النووي (ت/٦٧٦هـ) -: "أَنَّ لَهُ حَقِيقَةً، وَبِهِ قَطَعَ الْجُمْهُورُ، وَعَلَيْهِ عَامَةُ الْعُلَمَاءِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسَّنَةُ الصَّحِيحَةُ الْمَشْهُورَةُ". وأكد ذلك ابن الهمام الحنفي (ت/٨٦١هـ)، (د.ت، ج ٦/ص ٩٩)، والقرطبي في تفسيره (١٩٦٤، ج ٢/ص ٤٤)، وابن قدامة (ت/٦٢٠هـ) أيضاً (ينظر: ابن قدامة، ١٩٦٨، ج ٩/ص ٢٩٩)، وقد وضع الجمل (د.ت، ج ٥/ص ١١٠) ذلك بقوله: "أن مذهب أهل السنة أنه حق وله حقيقة، وأنه يكون بالقول والفعل، وأنه يؤلم ويُفْرِضُ ويقتل ويُفَرِّقُ بَيْنَ الرُّؤُوسِ".

وبهذا يبدو أن الدكتور شوقي مال إلى آراء مدرسة الاعتزال، وتأثر بها في بيان حقيقة السحر وتفسير الآيات التي تشتمل عليه، وكان الأولى به أن يقول بقول الجمهور لقوة أدلتهم، وعدم وجود مانع من ذلك، ولا سيما أن الواقع يؤيد أن أثر السحر لا يقتصر على التموه والخداع، بل يتجاوزها إلى حدوث الأمراض وتفريق الأزواج وتغيير المزاج، والجمهور مع القول بتأثيره يرون بأن ذلك لا يحدث إلا بإذنه تعالى كما دل عليه ظاهر الكتاب وظاهر السنة - والله أعلم -، وأن ما ذكر غيرهم من التموه ونحوه ليس إلا صورة من صور الكثرة - كما قال القرطبي (ت/٦٧١هـ) في تفسيره (١٩٦٤، ج ٢/ص ٤٦) أيضاً: "وأنه ثَبَّتَ وراء ذلك أمور جَوَّزَهَا الْعُقْلُ وَوَرَدَ بِهَا السَّمْعُ".

٦- موقفه من كرامات الأولياء:

الكرامات، جمع كرامة، وهي اصطلاحاً: (أمر خارق للعادة، غير مقرون بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة لها، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم أو لم يعلم). (اللقاني، ٢٠٠٩، ج ٢/ص ٩١٢).

وكان للدكتور أيضاً كلام مقتضب عن كرامات الأولياء، إذ قال في تفسير قوله تعالى: [عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧)] [الجن: ٢٦-٢٧]: "والله يطل ما ينسب إلى بعض المتصوفة أو يدعيه بعض أتباعهم لهم، من الولاية ومعرفة الغيب والكرامات، كما يطل الكهانة والتنجم، لأن أصحابها أبعد الناس عن رضا الله". (ضيف، ٢٠٠٠، ص ٩٧١).

وكلامه هنا في غاية الإنجاز، إلا أنه يستشف من كلامه أنه عني به طائفة مخصوصة، هم ليسوا أولياء، إذ عدّ بعض المتصوفة ولم ينف ذلك كلياً عنهم، كما أنه ذكر مع ذلك الكهانة والتنجم، وبين أنهم أبعد الناس عن رضا الله، كما أنه قرن إلى ذلك معرفة الغيب التي لا تكون إلا لبعض الرسل عليهم السلام في بعض الجزئيات وإياذن من الله تعالى، أما معرفة الغيب كاملة فهي من خصائص الله تعالى، لم يُطْلَعْ عليها لا نبياً مرسلًا ولا ملكاً مقرباً فكيف بولي!، أو بمن ينسب أو ينتسب إلى الولاية.

كما أنه لا يبعد أن يكون إنكار بعض العلماء للكرامات، بسبب أنه كثر دعوى وقوعها ولا سيما من قبل المريدين وأتباع الشيوخ وغالوا فيها وربما لفقوها- بحسن نية-، وأضحت مدعاة للفخر وإظهار دعوى التقرب إلى الله تعالى، بل وأصبحت تلك الدعاوى تجارة يغمر بها السذج، مع أن أهل الكرامات الحقيقيين قد لا يشعرون بما يظهر عليهم منها، وأنهم لا يريدون أن يطلع عليها الناس، بل هم أشد حياء من ظهور ذلك عليهم من الاطلاع على المرأة في خدرها، فضلاً من أن يتخذوها وسيلة لجمع الأموال والتباهي بها على الناس، لأنهم أيقنوا أن أعظم كرامة للولي هو سيره والتزامه بالشرع الحنيف، كما ينبي عنه قوله: [إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ] [يونس: ٦٢-٦٣].

والظاهر أن الدكتور شوقي كان متأثراً أيضاً في هذه القضية بمدرسة الاعتزال، إذ كلامه بهذا الصدد يشبه ما قاله الزمخشري (ت/٥٣٨هـ) رحمه الله في تفسيره (١٤٠٧، ج ٤/ص ٦٣٢): "وفي هذا إبطال للكرامات، لأن الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين، فليسوا برسول...". وقد أثبت الكرامة جمهور المسلمين من السلف والخلف، وأبو الحسين البصري (ت/٤٣٦) من المعتزلة، لتواتر ثبوتها عن الصحابة وغيرهم، وأنكرها أبو إسحاق الإسفراييني (ت/٤١٨هـ)، وأبو عبد الله الحلبي (ت/٤٠٣) من الأشاعرة، وأكثر المعتزلة، وابن حزم الظاهري (ت/٤٥٦)، بحجة أنها لا تتميز عن المعجزة، ورُدَّ بأن الكرامة ليس فيها دعوى النبوة بخلاف المعجزة. (ينظر: ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، د. ت، ج ٥/ص ٨، والزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج ٤/ص ٦٣٤، واللقاني، ٢٠٠٩، ج ٢/ص ٩١٢، والدوري، ٢٠١١، ص ٥١١-٥١٢).

وقد ساق ابن حجر (ت/٨٥٢)- (في فتح الباري ٣٦٤/١٣)- أقوالاً متعددة للعلماء في المقصود من الآية منها: "تمامه أن يقال: المراد بالاطلاع على الغيب علم ما سيقع قبل أن يقع على تفصيله..." ثم أبان عن موقفه من الكرامات بقوله: "وأما الكرامات فهي من قبيل التلويح واللمحات، وليسوا في ذلك كالأنبياء، وقد جزم الأستاذ أبو إسحاق بأن كرامات الأولياء لاتضاهي ما هو معجزة للأنبياء. وقال أبو بكر بن فورك: الأنبياء مأمورون بإظهارها، والولي يجب عليه إخفاؤها، والنبى يدعي ذلك بما يقطع به بخلاف الولي، فإنه لا يأمّن الاستدراج، وفي الآية ردّ على المنجمين وعلى كل من يدعي أنه يطلع على ماسيكون من حياة أو موت أو غير ذلك".

٧-المقصود بقوله تعالى: (ترميمهم بحجارة):

تطرق الدكتور شوقي في تفسير قوله تعالى: [وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤)] [الفيل: ٣-٤] إلى تفسير غريب صدره بقبيل، فبعد أن أورد تفسيره المشهور، فيقول في تفسير تلك الطير المرسلة عليهم بقوله: "أي جاعات من صغار الطير" ثم فسر الحجارة بقوله: "قيل: هو حبات من طين متحجر، وقيل: كانت هذه الحبات تحمل ميكروب الجدري وجراثيمه، فلم تكن تصيب جسماً من أجسام الجيش الحبشي حتى يتفتح تواء أو تظهر فيه قروح الجدري ويتساقط جلده ولحمه، وكل ذلك تواترت به الأخبار..." (ضيف: ٢٠٠٠، ص ١٠٣٧)

ولعلّ قوله: (كل ذلك تواترت به الأخبار) يعني حصول هذه الواقعة من الإغارة على مكة عام الفيل الذي وُلِد فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهلاك ذلك الجيش العظيم العرمم الذي يتقدمه فيل، وجعلهم عبرة لغيرهم، أما نوع العذاب وصفة الطير والحجارة التي رموا بها، وكيفية هلاكهم، فهذا لا يمكن الجزم به، وإن كانت بعض كتب التفسير ذكرت شيئاً من هذا القبيل، من ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سئل عن الطير فقال: حام مكة منها، وعن عكرمة: من أصابته جدّته وهو أول جدري ظهر أي بأرض العرب، فعن يعقوب بن عتبة أنه حدث أن أول ما رثيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام. (ينظر: الزمخشري، ١٤٠٧، ج ٤/ص ٨٠٥، والنيسابوري، ١٤١٦، ج ٦/ص ٥٦٥، والشرييني، ١٢٨٥هـ، ج ٤/ص ٥٩٠، والآلوسي، ١٤١٥هـ، ج ١٥/ص ٤٦٧).

كما يبعد تفسيره بمثل المكروبات التي يتحدث عنها الطب الحديث، هذا التفسير الذي أشار إليه الدكتور شوقي وصدره بـ (قيل)، مما يدل على أن هذا القول رتبته أدنى من التفسير المعروف فيه، إذ إن هذه المصطلحات الطبية وتوصيف الأمراض وتحديداتها لم تعرف بهذه الدقة إلا في العصر الحديث-، ومن ثم هناك مفسرون لم يقبلوا بمثل هذا التفسيرات العصرية كالشنتيبي في تفسيره (١٩٩٥: ١٠٥/٩)، إذ إن ملايسات الحادثة تمنع من تصور ذلك عقلاً، لعدم انتشاره في جميع أفراد المنطقة، ولعدم تأثيره فعلاً بهذه الصورة، ولعدم تصور مجيئه فجأة، فدلّ العقل نفسه على عدم صحة هذا القول.

والدكتور -وإن لم يصرح بقائه- إلا أن هذا القول لمحمد عبده كما اشتهر عنه، وهو في تفسيره لجزء عم (١٣٤١هـ، ص ١٥٨-١٥٩). والقائلون بهذا التقريب حاولوا أن يستأنسوا بمثل تلك الروايات التي أشرنا إليها، وكل ما قيل في ذلك هو ضرب من التخمين وتقريب للأحداث وإسقاطها على ما هو متعارف الآن، ومن ثم تأثر بهذا الرأي بعض المفكرين والكتاب، بل وبعض المفسرين أيضاً كالمراغي (ت/١٣٧١هـ) في تفسيره (١٩٤٦، ج ٣٠/ص ٢٤٤).

ومن المفسرين من حاول أن يعتذر لمحمد عبده في مثل هذه التفسيرات، كسيد قطب (ت/١٣٨٧هـ) (١٤١٢هـ، ج ٦، ص ٣٩٧٨)، فبعد أن بين أنه لا داعي لمثل تلك التفسيرات التي ذكرها مما لا تستند على حجة مقطوع بها قال: "وما دامت المسألة خارقة لعلام العناء في حصرها في صورة معينة، لمجرد أن هذه الصورة مألوفة لمدارك البشر! وجريان الأمر على غير المألوف أنسب لجو الحادث كله؟! ثم بين بعد الأسباب الحاملة له لتبني تلك الأراء بقوله: "إنّ الدافع لذلك هو ما كان في عصره من موجات متضاربة، موجة انحراف في التفكير نحو الإسلام، واستغلال الإسرائيليات، كمثل على ما يشبه الأباطيل في تشويه حقائق الإسلام عند غير المسلمين"، ومن ثم لم يرض هذا المنهج بقوله: "فإننا نلاحظ عنصر المبالغة فيه، وإغفال الجانب الآخر للتصور القرآني الكامل. وهو طلاقة مشيئة الله وقدرته من وراء السنن التي اختارها".

وبهذا تجلّى أن أكثر المسائل التي قال بها الدكتور شوقي ضيف بغير ظاهرها، وأولها-على الرغم من ندرتها في تفسيره-، أنه تبع في غالبها أصحاب المدرسة العقلية -التي تقادم عليها الزمان-، ولا سيما الزمخشري (ت/٥٣٨هـ) في تفسيره، كما أنه قال ببعض آراء العلماء المعاصرين الذين تبناوا التفسير العقلي الذي رآه أقرب إلى الفهم -بحسب نظرهم- وأوقع في النفس، وأولى لإقناع الجيل المعاصر، وعلى رأسهم محمد عبده (ت/١٣٢٣)، إلا أن هذا النهج حاد بهم -أحياناً- إلى تأويلات لا داعي إليها، كما أفضى بهم إلى تفسيرات لم يعهد بها ولا بأصولها في التراث الإسلامي، وليس هناك ما يؤيدها من لغة وأثر صحيح صريح، أما مسألة إقناع الناس فهي دعوى عريضة ولا تنتهي عند حد، بل هو غاية لا تدرك، إذ إن هناك مساحة من الغيبات في الدين لا يمكن للعقل البشري القاصر -مهما ترقى في العلوم- أن يحيط بها علماً، بل عليه الإذعان والتسليم، ولو لهتنا وراء الماديات، وأخذنا نلتبس بتفسيرات جديدة للنصوص تماشياً مع المستجدات، من دون أن يكون هناك ما يؤيدها من نقل ولغة وحقيقة علمية -لا يمتري فيها اثنان- لأضحى الدين ألعبه بأيدي العابثين والمترصين للنيل منه، وتفرغته من محتواه، مع أننا في غنى عنه، إذ إن في معالم الدين وأصوله ما يكفي لإثبات صدقه وكونه من عند الله تعالى الحكيم الخبير. والله أعلم.

ويشفع للدكتور شوقي هنا في إيراد هذا القول أنه ذكره بعد معناه المشهور وصدره بـ (قيل) المنبئ عند (تضعيفه ودونية مرتبته).

نتائج البحث

بعد هذه الجولة المباركة في رحاب تفسير الدكتور شوقي لكتاب الله تعالى، أفرز البحث عن مجموعة من النتائج من أبرزها:

- أن هذا التفسير الموسوم بـ (الوجيز في تفسير القرآن الكريم)، من التفاسير القيمة التي من شأنها أن تفيد شريحة كبيرة من القراء، إذ إنه يمتاز بأسلوبه السلس وبعباراته الواضحة، وتركيزه على المهات التي لا يُستغنى عنها لفهم كتاب الله على أحسن الوجوه، وذلك لأن مؤلفه كان له باع طويل والمأم واسع

بعلوم اللغة العربية وآدابها، وكان عارفاً بحاجات أبناء جلدته، وألف تفسيره بعد أن قطع شوطاً كبيراً في التأليف والتدريس، فكان مسك الختام لجلّ أعماله، وثمره طيبة جادت بها قريحته. وكثراً ثميناً تُؤج به مؤلفاته، وعملاً جليلاً جعله يُدرج ويلحق -إن شاء الله- بهذا الجمع الكريم الذين تشرفوا بخدمة كتاب الله تعالى وتفسيره.

-أعرض الدكتور شوقي عن الخوض في تفاصيل لا يحتاج إليها جلّ القراء الذين يبتغون فهم المعاني الأساسية من القرآن الكريم، والوقوف على مراد الله من كتابه بصورة عامة، ولذا خلا تفسيره -في غالبيتها- من تفصيلات في مباحث اللغة -على تشعبها- وكذلك في مسائل الفقه والعقيدة، وما أعجم وأمسك عنها القرآن من أسماء الشخصيات ونحوها إلا ما لا بد منها للفهم الصحيح للقرآن الكريم.

-كشف تأليف الدكتور لهذا السفر النفيس، طولَ بابه في مجال التفسير وروسوخ قدمه فيه، بحيث لا يقلّ أهمية ومكانة من شهرته وريادته في مجال اللغة والآداب والعمل في المجامع اللغوية.

-كان للشيخ اهتمامات في تفسيره -على وجازته-، فألفيناه يؤكد على أن القرآن الكريم أولى عناية فائقة بأهمية العلم وسبر أغوار الكون، ولا يمكن لأي أمة أن تتقدم وتوأكب العصر إن لم تتسلح بسلح العلم، كما أكد على عالمية الإسلام وأنه الدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، وأن السنة النبوية صنوان القرآن الكريم، ولا يمكن لأي أحد أن يكسب رضا الله تعالى ما لم يتحلّ باتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتخلق بأخلاقه.

-كما كان للشيخ اختيارات وترجيحات في تفسيره اعتمد فيها على الأحاديث الصحيحة، من ذلك أنه اختار أن تحريم النبي صلى الله عليه وسلم لما أحله الله تعالى له، كان في العسل، لوروده في الصحيحين، واختار أقوالاً أخرى بناء على مكي السورة ومدنيتها، كما اعتمد على الواقع والسياق في بعض التفسيرات كتفسير (ذي الأوتاد) بالأهرامات، لثبوتها في الأرض كاللوتد، واختار أن (سكراً) يراد به الشيء الحلو، لكونه مذكوراً في سياق الامتنان، وأن الخطاب في (لعمرك) للوط عليه السلام لوروده في ثنايا قصته في سورة الحجر، وأن (وردة) من قوله [فكانت وردة كالدّهان] [الرحمن: ٣٧] لا مانع أن يكون مصدراً للمرة من (وردك) (سجدة) من (سجد). كما اختار أن (النفخ في الصور)، هو لصور الأجسام، بناء على أن الصور جمع أو اسم جمع لصوره، مخالفاً بذلك كثيراً من المفسرين القدامى والحديثين كـ (محمد رشيد رضا).

-على الرغم من أن الدكتور شوقي يسير في تفسيره وفق منهج سليم في جلّ مباحث تفسيره، قائلاً بما قاله وارتناءه جلّ المفسرين، ولم نقف منه على ما يشذ عن ذلك إلا في مواطن معدودة قليلة جداً مقارنة بغيرها-، وبعض ما جنح إليه -مما خالف فيه الجمهور قال به بعض الأئمة من المتقدمين والمعاصرين، من أهل السنة وغيرهم، كما في بيان مقصوده بـ (الكرسي والعرش) من أنها تمثيل لسعة علم الله تعالى وقدرته، وهذا تفسير باللازم مع أن القول بظاهرها -وهو الأولى- لا ينفي هذا المعنى اللازم لها، وكذلك رأيه في أن (السحر) ليس إلا تخيلاً لا حقيقة له، متأثراً بما قالته المعتزلة قديماً وأصحاب المدرسة العقلية حديثاً، وكذلك إنكاره لما ينتسب إلى بعض المتصوفة من (الكرامات)، جارباً فيها مجرى المعتزلة، وكذلك رأيه في أن (مسح اليهود قردة) هو مسح معنوي في تحول طبائعهم إلى طباعها، وهذا وإن كان مأثوراً عن التابعي الجليل (مجاهد: ت/١٠٤هـ)، وقال به طائفة من المفسرين ولا سيما من المعاصرين، إلا أن الجمهور على خلافه، إذ لا مانع من إرادة حقيقته. والله أعلم.

المصادر والمراجع

*بعد القرآن الكريم

- الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: ١٢٧٠هـ) (١٤١٥ هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط ١، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.
- ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين ابن أبي العز الحنفي (المتوفى: ٧٩٢هـ) (١٩٩٧م): شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، ط ١٠، بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة.
- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: ٥٩٧هـ) (١٤٢٢هـ): زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط ١، بيروت-لبنان: دار الكتاب العربي.
- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (المتوفى ٨٥٢هـ) (١٣٧٩هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، بيروت-لبنان: دار المعرفة.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) (د. ت): الفصل في الملل والأهواء والنحل، (د.ط)، مصر - القاهرة: مكتبة الخانجي.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) (د. ت): المحلى بالآثار، (د.ط) بيروت-لبنان: دار الفكر .
- ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) (٢٠٠١م): روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، ط ١، المملكة العربية السعودية: دار العاصمة.
- ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر ابن عادل الدمشقي الحنبلي (المتوفى بعد ٨٨٠هـ) (١٩٩٨م): اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، شارك في تحقيقه برسالته الجامعية: د.محمد سعد، ود. محمد المتولي الدسوقي حرب، ط ١، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية.
- ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور(ت/١٣٩٣هـ)، (١٩٨٤م): تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد التحرير والتنوير، (د.ط): تونس، الدار التونسية.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي(المتوفى: ٣٩٥هـ) (١٩٧٩م): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د.ط): دار الفكر.
- ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٦٢٠هـ) (١٩٦٨م): المعنى، (د.ط): القاهرة مصر: مكتبة القاهرة.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ) (١٩٩٩م): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، ط ٢: دار طيبة.
- ابن مجاهد، أحمد بن موسى، أبو بكر بن مجاهد (المتوفى: ٣٢٤هـ) (١٤٠٠هـ): كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: ط ٢، مصر: دار المعارف.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين (المتوفى: ٧١١هـ) (١٤١٤هـ): لسان العرب، ط ٣، بيروت-لبنان: دار صادر..
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٦١هـ) (١٩٨٥م): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، ط ٦، دمشق: دار الفكر .
- ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد (المتوفى: ٨٦١هـ) (د.ت): فتح القدير (د.ط): دار الفكر.

- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) (١٤٢٠هـ): البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صديقي محمد جميل، د. ط، بيروت-لبنان: دار الفكر
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى (المتوفى: ١٣٩٤هـ) (د.ت): زهرة التفاسير، د. ط: دار الفكر العربي.
- أبو الفرج، محمد أحمد، (١٩٦٦م): المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث، د. ط، بيروت-لبنان: دار النهضة العربية،
- الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد (المتوفى: ٥٠٢هـ) (١٤١٢هـ): المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط ١: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت.
- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (المتوفى ٢٥٦هـ) (١٤٢٢هـ): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط ١: دار طوق النجاة.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر (المتوفى: ٤٥٨هـ) (١٤٠٥هـ): دلائل النبوة، ط ١، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية .
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر (المتوفى: ٤٥٨هـ) (١٩٩٣م): الأسماء والصفات، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، ط ١، جدة - المملكة العربية السعودية: مكتبة السوادبي.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، (المتوفى: ٢٧٩هـ) (١٩٧٥م): سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣) وإبراهيم عطوة عوض (ج ٤، ٥)، ط ٢، القاهرة-مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي
- الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ) (١٤٠٥هـ): أحكام القرآن، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، د. ط، بيروت-لبنان: دار إحياء التراث العربي
- الجمل، سليمان بن عمر (المتوفى: ١٢٠٤هـ) (د.ت): فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منج الطلاب المعروف بحاشية الجمل، د. ط: دار الفكر.
- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت/٤٠٥هـ) (٢٠٠٢م): المستدرک على الصحيحين: معتمدين الإمام الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمنائوي في فيض التقدير. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ٢، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.
- الحازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد (المتوفى: ٧٤١هـ) (١٤١٥هـ): لباب التأويل في معاني التنزيل: تصحيح: محمد علي شاهين، ط ١، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية
- الخطيب، عبد الكريم يونس (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) (د.ت): التفسير القرآني للقرآن، د. ط، القاهرة-مصر: دار الفكر العربي.
- درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (المتوفى: ١٤٠٣هـ) (١٤١٥هـ): إعراب القرآن الكريم وبيانه، ط ٤: دار الإرشاد للشتون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)
- البوري، د. قحطان عبد الرحمن (٢٠١١م): العقيدة الإسلامية ومذاهبها: ط ١، بيروت لبنان: كتاب-ناشرون.
- الذهبي، الحافظ شمس الدين (ت/٧٤٨هـ) (١٩٩١م): مختصر العلو للعلو الغفار، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، أشرف عليه زهير الشاويش، ط ٢، بيروت-لبنان: المكتب الإسلامي.
- الذهبي، د. محمد حسين (١٩٧٦م): التفسير والمفسرون، ط ٢: دار الكتب الحديثة.

- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر (المتوفى: ٦٠٦هـ) (١٤٢٠هـ): مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط ٣، بيروت-لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ) (١٩٩٠م): تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، د.ط، مصر: الهيئة المصرية للكتاب.
- الزرقاني، محمد بن عبد العظيم (ت/١٣٦٧هـ=١٩٤٨م) (د.ت): مناهل العرفان في علوم القرآن، ط ٢، بيروت-لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- الزخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) (١٤٠٧هـ): الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط ٣، بيروت-لبنان: دار الكتاب العربي.
- سلقيني، د. عبد الله محمد، (٢٠٠٢م): موجز في علوم القرآن وأصول التفسير، دمشق-سورية: دار المكتبي.
- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (المتوفى: ٣٧٣هـ) (د.ت): بحر العلوم، (د.ط، ود. دار النشر).
- السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (المتوفى: ٧٥٦هـ): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (د.ت)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، د.ط، دمشق-سورية: دار القلم.
- سيد قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) (١٤١٢هـ): في ظلال القرآن، ط ١٧، بيروت-القاهرة: دار الشروق.
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ) (د.ت): الدر المنثور في التفسير بالمأثور، د.ط، بيروت-لبنان: دار الفكر.
- النسبلي الدمشقي، محمد بن عبد الله (المتوفى: ٧٦٩هـ) (د.ت): آكام المرجان في أحكام الجان، تحقيق: الجمل، د.ط، مصر - القاهرة: مكتبة القرآن.
- الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) (١٢٨٥هـ): السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، د.ط، القاهرة-مصر: مطبعة بولاق (الأميرية).
- الشعراوي، محمد متولي (المتوفى: ١٤١٨هـ) (١٩٩٧م): تفسير الشعراوي - الخواطر، د.ط: مطابع أخبار اليوم.
- الشنقيطي، محمد الأمين (المتوفى: ١٣٩٣هـ) (١٩٩٥م): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. د.ط، بيروت - لبنان: دار الفكر.
- الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم (المتوفى: ٤٧٦هـ) (د.ت): المهذب في فقه الإمام الشافعي، د.ط، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.
- صالح، عبد العزيز صالح (د.ت): الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، د.ط: مكتبة دار الزمان.
- الصباغ، محمد بن لطفي، (١٩٩٠م): لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ط ٣، بيروت-لبنان: المكتب الإسلامي،
- ضيف، د. شوقي ضيف (٢٠٠٠م): الوجيز في تفسير القرآن الكريم، ط ٢، القاهرة-مصر: دار المعارف.
- الطبري، محمد بن جرير (المتوفى: ٣١٠هـ) (٢٠٠٠م): جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١: مؤسسة الرسالة.
- طنطاوي، محمد سيد طنطاوي (ت/١٤٣١هـ) (١٩٩٨م): التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط ١، القاهرة-مصر: دار نهضة مصر .
- عبد الحميد، محسن عبد الحميد (١٩٦٩م): الألوسي مفسراً، د.ط، بغداد-العراق: مطبعة المعارف
- عبد الحميد، د. محسن عبد الحميد، (١٩٨٩م): تطور تفسير القرآن قراءة جديدة، د.ط، بغداد-العراق: منشورات جامعة بغداد.
- عصفور، د. محمد أبو المحاسن عصفور (١٩٨٧م): معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، د. ط: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- العبود، جاسم محمد العبود (٢٠٠٧م): مصطلحات البلاغة العربية دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، ط ١، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.

- القاضي، عبد الفتاح (٢٠٠٥م): *البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة عن طريق الشاطبية والدرّة، ويليه القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب*، تحقيق: أحمد عناية، د.ط، بيروت-لبنان: دار الكتاب العربي.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (المتوفى: ٦٧١هـ) (١٩٦٤م): *الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي*، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط ٢، القاهرة-مصر: دار الكتب المصرية .
- القطان، الشيخ مناع القطان (د.ت): *مباحث في علوم القرآن*، ط ١، دمشق سوريا: مؤسسة الرسالة ناشرون.
- الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) (د.ت): *غرائب التفسير ومجائب التأويل*، د.ط: دار القبة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.
- كنعان، القاضي الشيخ محمد أحمد (١٩٩١م): *قصة العينين على تفسير الجلالين*، ط ٤، بيروت-لبنان: دار البشائر الإسلامية
- اللالكائي، الشيخ الحافظ: أبو القاسم هبة الله بن الحسن (ت/٤١٨هـ) (١٤١٨هـ): *أصول اعتقاد أهل السنة*، تحقيق: أحمد بن سعيد حمد بن الغامدي، ط ٥، الرياض -السعودية: دار طيبة.
- اللحاني، العلامة عبد السلام بن إبراهيم (ت/١٠٤١هـ) (١٩٩٠م): *شرح جوهرة التوحيد المسماة إتحاف المريد بجوهرة التوحيد*، ومعه النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد: لمحمد محيي الدين عبد الحميد، قدم له محمد أدبي، ط ١، سورية- حلب: دار القلم العربي.
- الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، (المتوفى: ٣٣٣هـ) (٢٠٠٥م): *تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)*، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط ١، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.
- مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي (المتوفى: ١٠٤هـ) (١٩٨٩م): *تفسير مجاهد*، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط ١، مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة.
- محمد عبده، الشيخ محمد عبده (المتوفى ١٣٢٣هـ) (١٣٤١هـ): *تفسير جزء عم*، ط ٣، مطبعة مصر.
- المراغي، أحمد بن مصطفى (المتوفى: ١٣٧١هـ) (١٩٤٦م): *تفسير المراغي*، ط ١، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) (د.ت)، *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، بيروت-لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: ٦٧٦هـ) (١٣٩٢هـ): *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*، ط ٢، بيروت-لبنان: دار إحياء التراث العربي
- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد (المتوفى: ٨٥٠هـ) (١٤١٦هـ): *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط ١، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (المتوفى: ٤٦٨هـ) (١٩٩٢م): *أسباب نزول القرآن*، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط ٢، الدمام-السعودية: دار الإصلاح.

-وزارة الأوقاف، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت (الطبعة من ١٤٠٤-١٤٢٧هـ): الموسوعة الفقهية الكويتية، الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت- وغيرها.

-ول ديورانت، ويليام جيمس (المتوفى: ١٩٨١ م) (١٩٨٨م): قصة الحضارة، تقديم: الدكتور محيي الدين صابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس..

الانترنت والمواقع الالكترونية: -مجموعة من المؤلفين: شوقي ضيف، مقالات منشورة لمجموعة من الكتاب. على موقع معرفة، وموقع المكتبة الشاملة الحديثة، وعلى موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الانترنت - وغيرها.

تێڕوانینهکان بۆ (لێكدانهوهی پوختهی قورئانی پیرۆز)

له لایهن دکتۆر شهوقی دایف

دکتۆر خالد احمد محمد

به شی زمانی عه ره بی/کۆلیژی پهروه رده-زانکۆی سه لاهه دین-هه ولیر

Xalid.Mohammed@su.edu.krd

پوخته

ئهم تویژینه وهیه به ناو نیشانی (بۆچوونهکان له سه ر لێكدانهوهی پوختهی قورئانی پیرۆز له لایهن دکتۆر شهوقی دایف) هه، ئامانجی ناساندنی هه وه لێکانهی ئهم زانا و نووسه ره به ناو بانگه و به شدارییه کانی له بواری لێكدانه وه و ئه وهی که تێیدا ئاماژه ی پیکراوه، تویژینه وه که پیکدیت له پێشه کیهک، پێشه کیهک، دوو باب تهی، و پێشه کیه که پوخته یه کی ژیا نی نووسه ران و ده ره نجامیک له خۆ ده گریت پێشه، به تایبه ت هه وه لێکانهی له لێكدانه وه و تایبه ته ندییه کانی دا، ئیمه ته رخانمان کرد بۆ بنه ما سه ره کیه کانی لێكدانه وه کانی، و لایه نه کانی به رژه وه ندی و هه لێژاردنه کانی ئیمه باب تهی دووهممان ته رخان کرد بۆ پوونکردنه وهی دیارترین بۆچوونهکان یان لێكدانه وه سه یرهکان که جێگه ی ره چاوکردن له لێكدانه وه کانی دا، که دیارترینیان ئه وهیه که د. شهوقی دایف (په حمه تی خوای لی بیت) ئه زموونیکی به رفراوانی له بواری لێكدانه وه دا هه بووه، په نگه له زانسته زمانه وانی و ئه ده بییه کان که متر نه بیت که لێكدانه وه که ی به نرخه، سه رنجی له سه ر باب ته گرنگه کانه، هه روه ها وه ستان و ده ست لێدانی هه یه که ژیرییه که ی پێی به خشیوه ئه و به شیوازیکی پوون و نه رم و نیان جیا ده کرایه وه، و ته نها میتۆدۆلۆژیایه کی ده نگی په یره وه کرد چه ند پرسیک لادا، که تێیدا کاریگه ری هه ندیک ره وتی عه قلانی و قوتا بخانه کانی لێكدانه وه بوو.

وشه ی سه ره کی: (پوانگه، لێكدانه وه، قورئانی پیرۆز، میتۆدۆلۆژی، شهوقی دایف).